حـرف الحـاء

حارثة بن سراقة رضي الله عنه

نزيل الفردوس

صحابي، أنصاري، خزرجي، نجاري، أبوه «سراقة بن الحارث بن عدي» وأمه «الرُّبَيِّعُ بنت النَّضْر» أخت «أنس بن النضر» شهيد أُحُد، وعمّة «أنس» و«البراء» ابني «مالك بن النضر» وأمهما «أم سُلَيْم» التي فارقها زوجها «مالك» بسبب إسلامها، ومات بالشام كافراً.

خرج رسول الله ﷺ إلى (بدر) في ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً من المسلمين بعد أن علم أن قريشاً قد جمعت لقتاله حين استصرخها «أبو سفيان بن حرب» للدفاع عن أموالها وتجارتها التي عزم المسلمون على اعتراضها، وهو عائد بها من الشام، وكان «أبو جهل» هو الذي أصر على قتال المسلمين يومئذٍ على الرغم من تغيير «أبي سفيان» مسار القافلة، والوصول بها إلى مكة بسلام.

وكان «حارثة بن سراقة» متلهفاً للقاء المشركين، متمنياً أن يحظى بالشهادة، وكان «حارثة» شديد البر بأمه، حريصاً على طاعتها، لا يرضى بالدنيا بديلاً عن رضاها، وكانت أم «حارثة» تُكِنُّ لابنها أعظم الحب، وتؤثره حتى على نفسها. ولما علم بأن رسول الله ﷺ منطلقٌ إلى (بدر) وَدَّع أمه، وخرج مع المسلمين نَظَّاراً وهو غلام، وبينما كان «حارثة» يشرب من الحوض، رماه أحد المشركين، ويدعى: «حِبَّان بن العَرِقَة» بسهم أصاب حنجرته فأرداه قتيلاً.

وشهدت (بدر) أروع انتصار للمسلمين، وأخزى اندحار للمشركين، فقد لقي كبار زعماء قريش مصرعهم، وكان من أبرزهم: «أبو جهل بن هشام» و«عتبة» و«شيبة» ابنا ربيعة، و«الوليد بن عتبة» و«أمية بن خلف» الذي أنزل ببلال بن رباح، مؤذن رسول الله ﷺ ألوان العذاب عندما كان مولى له، ولما علمت «أم حارثة» باستشهاد ولدها «حارثة»، تحاملت على نفسها، وانطلقت إلى رسول الله ﷺ لتسأله عن حال ابنها ومآله، وقد أخرج الإمام البخاري رحمه الله تعالى في صحيحه(١)، عن عبد الله بن محمد، حدثنا معاوية بن عمرو، حدثنا أبو إسحاق، عن حُمَيْد قال: سمعت أنساً رضي الله عنه يقول: أصيب حارثة يوم بدر، وهو غلام، فجاءت أمه إلى النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله، قد عرفتَ منزلة حارثة مني، فإن يكن في الجنة أصبرْ وأحتسبْ، وإن تكن الأُخرى تَرَى ما أصنعُ، فقال: **(وَيْحَكِ، أَوَ هَبِلْتِ، أَوَ جنةٌ هيَ، إنها جِنَانٌ كثيرة، وإنه في جنة الفِرْدَوْس)**، وفي رواية أخرى للبخاري(٢): حدثنا محمد بن عبد الله، حدثنا حسين بن محمد أبو أحمد، حدثنا شيبان، عن قتادة، حدثنا أنس بن مالك: أن أم الرُّبَيِّع بنت البراء، وهي أم حارثة بن سراقة(٣)، أتت النبي ﷺ فقالت: يا نبي الله، ألا تحدثني عن حارثة ـ وكان قتل يوم بدر، أصابه سهمٌ غَرْبٌ ـ فإن كان في الجنة صبرتُ، وإن كان غيرَ ذلك، اجتهدت عليه في البكاء؟ قال: **(يا أم حارثة، إنها جنان في الجنة، وإن ابنك أصاب الفردوس الأعلى)**.

---

(١) صحيح البخاري رقم (٣٧٦١).

(٢) صحيح البخاري (٢٦٥٤).

(٣) يلاحظ أن الحديث (٢٦٥٤) جاء فيه: أن أم الرُّبَيِّع بنتَ البراء، هي أم حارثة، وعند ابن الأثير في أسد الغابة (١/ ٤٠٤) قال: وأمه الرُّبَيِّع بنت النضر، لذا وجب التنويه.

ولما سمعت «أم حارثة» قول النبي ﷺ رجعت وهي تضحك، وتقول: بَخٍ بَخٍ لك يا حارثة!، وما لها لا تضحكُ ولا تُبَخْبِخُ، وقد أصاب ابنها «حارثة» الفردوس الأعلى من الجنان!.

وذكر ابن الأثير في موسوعته أسد الغابة[١]، [قيل: إنه أول من قتل من الأنصار ببدر].

وجاء في موسوعة ابن الأثير[٢]: [أخبرنا أبو القاسم يعيش بن صدقة بن علي الفراتي الفقيه الشافعي، أخبرنا أبو محمد يحيى بن علي الطراح، أخبرنا أبو الحسين محمد بن علي بن محمد المهتدي بالله، أخبرنا بن يوسف دُوسْتَ العلاف، أخبرنا عبد الله بن محمد البغوي، حدثنا عبد الله بن عون، أخبرنا يوسف بن عطية، عن ثابت البناني، عن أنس، قال: بينما رسول الله ﷺ يمشي إذ استقبله شاب من الأنصار، فقال له النبي ﷺ: **(كيف أصبحت يا حارث؟)** قال: أصبحت مؤمناً بالله حقاً، قال: **(انظر ما تقول؟ فإن لكل قول حقيقة)**، قال: يا رسول الله، عَزَفَتْ نفسي عن الدنيا، فأسهرتُ ليلي، وأظمأتُ نهاري، وكأني بعرش ربي ﷻ بارزاً، وكأني أنظر إلى أهل الجنة يتزاورون فيها، وكأني أنظر إلى أهل النار يتعاوَوْن فيها، قال: **(الزم، عبد نور الله الإيمان في قلبه)** فقال: يا رسول الله، ادع الله لي بالشهادة، فدعا له رسول الله ﷺ، فنودي يوماً في الخيل، فكان أول فارس ركب، وأول فارس استشهد، فبلغ ذلك أمه، فجاءت رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله، إن يكن في الجنة لم أبك ولم أحزن، وإن يكن في النار بكيتُ ما عشتُ في دار الدنيا، قال: **(يا أم حارثة، إنها ليست بجنة واحدة، ولكنها جنان، وإن**

(١) أسد الغابة (١/ ٤٠٤).
(٢) أسد الغابة (١/ ٤٠٤).

حارثة في الفردوس الأعلى)، فرجعت أمه، وهي تضحك، وتقول: بَخٍ بَخٍ لك يا حارثة!].

قال تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ [الإسراء: ٢٣]، فامتثل «حارثة» أمر الله، وكان براً بأمه، فكان حقاً على الله، أن يجعل الفردوس مثواه، والله أسأل أن يطيب ثراه.

obeikandl.com

حارثة بن النعمان ﷺ

قارىء القرآن في الجنة

صحابي، أنصاري، خزرجي، نَجَّاري، كنيته «أبو عبد الله». كان شديد الحب لرسول الله ﷺ، وقد دلَّل على هذا الحب قولاً وعملاً، ذلك أنه كان يملك عدداً من البيوت في المدينة، وكان يجاور رسول الله ﷺ في مسكنه، وكان رسول الله ﷺ كلما تزوج، بادر «حارثة» إلى إخلاء مسكنه لرسول الله ﷺ، وتحوَّل بأهله إلى مسكن آخر، حتى استحيا رسول الله ﷺ من كثرة ما يتحوَّل له «حارثة» عن مسكنه.

كان الحب رائده في حياته، ولم يَتَخلَّ عنه حتى وفاته، فهو محب لله، محب لرسوله ﷺ، محب للقرآن الكريم، مكثر لتلاوته، محب للجهاد ابتغاء مرضاة الله، وإعلاء كلمته، محب لمكارم الأخلاق بِرُمَّتها، محب للمؤمنين، يحب لهم ما يحب لنفسه، محب لأُمِّه، شديد البر بها، ولم يكن ينافسه في ذلك أحد من الصحابة إلَّا «عثمان بن عفان» ﷺ. أما «عثمان» فكان يقول: ما قدرت أتأمل وجه أمي منذ أسلمت، وأما «حارثة» فكان يطعمها بيده، ولم يستفهمها كلاماً قط تأمر به، حتى يسأل مَنْ عندها بعد أن يخرج: ماذا قالت أمي؟[1].

وكان يعبر عن حبه لله ولرسوله ﷺ بالتزام ما أمرا به،

---

(١) انظر أصحاب الرسول ﷺ لمحمود المصري (١/ ٥٠٠).

واجتناب ما نهيا عنه. وروت عمرة، عن عائشة، قالت: قال رسول الله ﷺ: **(دخلت الجنة، فسمعت قراءة، فقلت: من هذا؟ فقيل: حارثة بن النعمان)**، فقال رسول الله ﷺ: **(كذلكم البَرُّ)**. وكان حبه للقرآن يبدو في الجلوس إليه، والإكثار من تلاوته، وتدبر آياته، والعمل بأحكامه فيُحلُّ ما أَحَلَّ، ويُحرِّم ما حَرَّم، وقد ظهر حبه للجهاد في حضوره بدراً وأُحداً والخندق، وسواها مع النبي ﷺ. وكان حبه لمكارم الأخلاق يتمثل في حرصه على العمل بها والحض عليها، وحبُ الأبرار، ومجالسة الأخيار، وبغض الأشرار، والبعد عنهم، والحذر منهم. وكان حبه للمؤمنين يقتضي أن يتمنى لهم من الخير ما يتمنى لنفسه، وألَّا يكون في قلبه غِلٌّ ولا حسد ولا ضغينة لأي منهم، وكان حبه لأمه يبدو في امتثال أمر الله تعالى، وأمر رسول الله ﷺ بالإحسان إليها، وعدم الإساءة إليها، أو الافتئات على حقها، أو فعل ما يسوؤها.

هذا هو شعار الحب الذي رفعه: «حارثة بن النعمان» وآمن به وطَبَّقه، ولم يقتصر جهاد «حارثة» على الخروج إلى ساحات القتال، ولكنه كان سخياً في تقديم المال اللازم لدعم مسيرة الجهاد وتجهيز المقاتلين وحملهم، ولم يأل جهداً في هذا السبيل.

وأخرج ابن الأثير[1] له حديثاً جاء فيه: [روى عبد الله بن عامر بن ربيعة، عن حارثة بن النعمان، قال: مررت على رسول الله ﷺ ومعه جبريل عليه السلام جالساً بالمقاعد، فسلمتُ عليه وجُزْتُ، فلما رجعت وانصرف النبي ﷺ قال: **(هل رأيت الذي كان معي؟)** قلت: نعم، قال: **(فإنه جبريل، وقد ردَّ عليك السلام)**. وروى ابن عباس: أن «حارثة بن النعمان» مرَّ على النبي ﷺ ومعه

(١) أسد الغابة (١/٤٠٧).

جبريل، يناجيه، فلم يسلِّم، فقال جبريل: ما منعه أن يسلِّم؟ فقال له رسول الله ﷺ: (**ما منعك أن تسلِّم حين مررت؟**) قال: رأيت معك إنساناً تناجيه، فكرهت أن أقطع حديثك، قال: (**أو قد رأيتَهُ؟**) قال: نعم، قال: (**أما إن ذاك جبريل**)، وقال: أما إنه لو سلَّم لرددتُ عليه، ثم قال: أما إنه من الثمانين، فقال رسول الله ﷺ: (**وما الثمانون؟**) قال: يفر الناس عنك غير ثمانين فيصبرون معك، رزقهم ورزق أولادهم على الله في الجنة، فأخبر «حارثة» بذلك[1].

وفي خلافة «معاوية» انتقل «حارثة بن النعمان» إلى جوار ربه، رحمه الله تعالى.

(١) الطبراني في المعجم الكبير (٣/ ٣٢٢٥)، ومجمع الزوائد (٩/ ٣١٤)، والبزَّار في زوائده (٢٥٥).

الحُبَابُ بن المنذر رضي الله عنه

ذو الرأي

ما أجمله من لقب فاز به هذا الصحابي الأنصاري الخزرجي السلمي! «ذو الرأي» ولكن مثل هذا اللقب لا يصل إليه أحد، خلال وقت قصير، أو لفكرة سديدة خطرت له فطرحها بشكل عابر على الناس فاستحسنوها وسمَّوْا صاحبها: ذا الرأي، أما «الحباب بن المنذر» فلم يفز بذلك اللقب عرضاً، وإنما ثبت للناس في مواقف عدة، ومناسبات كثيرة، حسن رأيه، وسداد تفكيره، وحكمته الجلية، وفرط ذكائه، ورجاحة عقله، كل ذلك أوصله إلى الرأي السديد، الأحق بالاتباع، والأجدر بالتأييد.

وقد أشار القرآن الكريم في موضعين إلى مبدإٍ هام، جاء به الإسلام، وجعله أساساً للحكم، إنه مبدأ الشورى، قال تعالى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، وقال تعالى: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ [الشورى: ٣٨]، وما كان رسول الله ﷺ يحيد عن هذا المبدإ، ولا سيما في الأمور الهامة والخطيرة، وبخاصة ما تعلق منها بلقاء الأعداء في ساحات القتال.

ويوم بدر خرج رسول الله ﷺ بالمسلمين وعددهم ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً بعد أن علم أن قريشاً قد جمعت له ألف مقاتل، وأن بدراً الموعد. ولما وصل رسول الله ﷺ بالمسلمين نزلوا بأدنى ماءٍ من بدر[1]، وكان «الحباب بن المنذر» يحمل لواء قومه الخزرج،

---

(١) تاريخ الطبري (٢/ ٤٣٩ ـ ٤٤٠).

فقال: يا رسول الله، أرأيت هذا المنزل، أمنزل أنزلكه الله ليس لنا أن نتقدمه ولا نتأخره، أم هو الرأي والحرب والمكيدة؟ قال: (**بل هو الرأي والحرب والمكيدة**)، فقال: يا رسول الله، فإن هذا ليس لك بمنزل، فانهض بالناس حتى نأتي أدنى ماء من القوم فَنَنزِلَه، ثم نُغَوِّر ما سواه من القُلُب، ثم نبني عليه حوضاً، فنملؤه ماء، ثم نقاتل القوم، فنشرب ولا يشربون، فقال رسول الله ﷺ: (**لقد أشرت بالرأي**)، فنهض رسول الله ﷺ ومن معه من الناس، فسار حتى أتى أدنى ماء من القوم، فنزل عليه، ثم أمر بالقُلُب فَغُوِّرت، وبنى حوضاً على القليب الذي نزل عليه فملىء ماء، ثم قذفوا فيه الآنية.

لقد استجاب رسول الله ﷺ لرأي سديد صدر عن رجل محنَّك لقبه قومه بـ(ذي الرأي)، ولم تكن استجابة رسول الله ﷺ سراً، وإنما كانت على مرأىً ومسمع من الناس، بل إنه خاطب «الحباب» وجهاً لوجه وقال له: (**لقد أشرت بالرأي**)، وقد عرف رسول الله ﷺ كيف ينفذ أمر الله في الشورى في أبهى صورة، وأكمل أداء، ولا غرو ـ لا عجب ـ أن يصدر عنه ذلك، وقد وصفه ربه بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾ [القلم: ٤]. وكان «الحباب» محباً للجهاد، ولما كانت غزوة السويق، انطلق مع رسول الله ﷺ والمسلمين يطلبون «أبا سفيان بن حرب» الذي أقسم بعد الهزيمة المنكرة التي حلَّت بقريش يوم بدر، ألَّا يمسَّ رأسه ماء من جنابة حتى يغزو «محمداً»، ثم أتى العُرَيْض ـ قريباً من المدينة، فقتل رجلين وحرَّق أبياتاً وتبناً، فلما جاء الصريخ إلى رسول الله ﷺ خرج مع أصحابه، في طلبهم، لكن «أبا سفيان» ومن معه لاذوا بالفرار وألقوا وراءهم جُرُبَ الدقيق ليتخففوا من أثقالهم، وكان ذلك الدقيق عامَّة زادهم فسميت غزوة السويق وذكر ابن سعد في طبقاته: أن «الحباب» ثبت يوم أحد إلى جانب رسول الله ﷺ وبايعه على

الموت[١]، وكذلك شهد «الحباب» غزوة الخندق التي لم يكن فيها قتال، وفي خلافة «عمر بن الخطاب» رضي الله عنه آن لذي الرأي أن يستريح فمات «الحباب»، رحمه الله تعالى، وأجزل له المثوبة.

(١) الطبقات الكبرى (٣/ ١١٠).

obeikandl.com

حَبيبُ بن زَيْد رضي الله عنه

أسطورة الجَلَدِ

صحابي، أنصاري، خزرجي، ثم من بني مازن بن النجار، والده «زيد بن عاصم» وأمه «نُسَيْبَة بنت كعب المازنية» وكنيتها: «أم عمارة». نَشَأ «حبيب» في أسرة تحب الله ورسوله ﷺ، وتعشق الجهاد، وترى التقوى لها خير زاد. أسلم «حبيب» وأخوه «عبد الله» ووالداهما على يد السفير المقرىء «مصعب بن عمير» وحضروا جميعاً بيعة العقبة الثانية التي تم فيها اختيار النقباء الاثني عشر، تسعة من الخزرج وثلاثة من الأوس.

وبعد أن بايعت أسرة «أم عُمارة» رسول الله ﷺ خَصَّهُمْ رسول الله ﷺ إحْدَى دعواته الكريمة، فقال: (**بارك الله عليكم من أهل بيت، رحمكم الله من أهل بيت**).

ولكن ما كان ومع هذه الدعوة المباركة في نفوسهم؟ لقد منحوه أقصى مودتهم، وجعلوا أنفسهم أرخص ما يبذل في سبيل نصرته، ودفع الأذى عنه أيّاً كان مصدره، وتعرضت «أم عُمارة» وأسرتها إلى مصاب أليم، حيث وافت المنية زوجها «زيد بن عاصم»، إنه قضاء الله، وكأس سيشرب منها بنو آدم أجمعون. ولما أنهت «أم عمارة» عدتها، خطبها «غزية بن عمر المازني»، وتم الزواج، وسمعت الأسرة الكريمة منادي رسول الله ﷺ يدعوهم للخروج إلى أحد، فما كان أسرعهم لتلبية النداء! إن حب الجهاد يجري في عروقهم مثلما تجري الدماء.

كانت «أم عمارة» وبعض صويحباتها يخرجن لا يردن القتال، وإنما لمداواة الجرحى، وسقايتهم، بَيْدَ أنَّ الوضع يوم أحد بدا جدَّ مختلف، وذلك حين أوذي رسول الله ﷺ، وخُضِّب وجهه الشريف بدمه الزكي، وكسرت رباعيته، مما جعل «أم عُمارة» تعدل عن سيرتها السابقة، وتقرر خوض غمار القتال، لم يعد بوسعها أن تقف موقف المتفرِّج، ودم رسول الله ﷺ قد سال بأيدي الآثمين، فما كان منها إلا أن ألقت بسقائها، وامتشقت حسامها، وتترَّسَتْ مع بعض المهاجرين والأنصار دون رسول الله ﷺ لتحول بينه وبين أي أذى قد يأتيه من قبل عدوه الحاقد اللئيم.

وأحصيت الجراحات التي أصابت «أم عمارة» يومئذٍ فكانت ثلاث عشرة، وكان بينها جرح بعيد الغور، ويرى رسول الله ﷺ ما نالها فينادي على ابنها «عبد الله» بقوله: **(أمك، أمك، اعصب جرحها، مقام أمك خير من مقام فلان وفلان)**، يا لها من شهادة! ويا له من تكريم! من كريم جد كريم.

وتنتشي «أم عُمارة» بقول رسول الله ﷺ الذي سمعته، فتطمع، وتطمح نفسها إلى أكثر، ولكن ما الذي تريده «أم عُمارة» إنها تدنو من رسول الله ﷺ وتقول بعبارة فيها أحر الرجاء، وأقصى غاية الدعاء: يا رسول الله، ادع الله لنا أن نرافقك في الجنة، يالله، ما أشد طمعك أيتها المجاهدة الصابرة والدماء تنزف من جراحاتك! ولكن الآلام اختفت على عجل، لأن ما سمعته من طيب الكلمات، أذهب عنها الإحساس بآلام الجراحات.

ويستجيب الكريم العظيم، الرؤوف الرحيم، ويقول: **(اللَّهم، اجعلهم رفقائي في الجنة)** وحين سمعت «أم عُمارة» ذلك، سارعت بالقول: «ما أبالي ما أصابني من الدنيا» أجل، كل شيء يهون، إذا

كانت الجنة هي الغاية والمآل. كانت «أم عُمارة» تغذي ولديها «عبد الله» و«حبيباً» بحب الله، وحب رسوله ﷺ، وترغبهما في الجهاد، وتحثهما على طلب الشهادة، والتعرض لها ما وجدا إليها السبيل، وكانت تعدهما لأشق المهمات، وأشد المواقف حرجاً.

وحين ظهر كذاب اليمامة «مسيلمة» وجاء بفرية عظيمة مفادها أنه أرسل إليه بمثل ما أرسل إلى «محمد» ﷺ، ثم إنه اختار رجلين من أعوانه وحمَّلهما رسالة إلى النبي ﷺ، ولما أدخلا على رسول الله ﷺ، سلماه الرسالة، فإذا فيها: من مسيلمة رسول الله إلى محمد رسول الله، سلام عليك، أما بعد، فإني قد أُشْرِكْتُ في الأمر معك، وإن لنا نصفَ الأرض، ولقريش نصفَ الأرض، ولكن قريشاً قوم يعتدون.

رسالة وقحة، خالية من الحياء، ملأى بالسفه والافتراء!.

وبعد أن قرأها كاتب رسول الله ﷺ، قال رسول الله ﷺ للرسولين: **(وما تقولان أنتما)**؟ فقالا: إنما قولنا كما يقول: فقال لهما رسول الله ﷺ: **(أما والله، لولا أن الرسل لا تقتل لضربتُ عنقيكما)**.

ثم التفت إلى كاتبه، وقال له أن يكتب: **(بسم الله الرحمٰن الرحيم، من محمد رسول الله إلى مسيلمة الكذاب، السلام على من اتبع الهدى، أما بعد، فإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده، والعاقبة للمتقين)**.

وحمل الرجلان جواب رسول الله ﷺ، وأقفلا راجعين إلى المفتري الذي أرسلهما ثم بدا لرسول الله ﷺ أن يتبع رسالته الأولى برسالة أخرى لعل مُخَاطَبهُ يتذكَّر أو يخشى، فَيُقْلِعُ عما افترى.

ولكن من الذي سيقوم بإيصال الرسالة إلى «مسيلمة»؟ لقد وقع

اختيار رسول الله ﷺ على ابن المجاهدة المؤمنة الصابرة «أم عُمارة» وكان ولدها «حبيب بن زيد» رسولَ رسولِ الله ﷺ.

وانطلق «حبيب» برسالة الحبيب الأعظم ﷺ، ولما وصل «اليمامة» أُخْبِرَ الكذاب بوصوله وبحمله رسالة من رسول الله ﷺ، فأمر بإدخاله عليه، ودخل «حبيب» وكان شامخ الرأس، مكللاً بتاج الإيمان، رابط الجأش قوي الجنان، فرمقه «مسيلمة» بنظرة استخفاف، ولما قرأ الرسالة التي جاءه بها من رسول الله ﷺ، أمر بوضع الأغلال في يديه، وإيداعه السجن، على أن يمثل أمامه في الغد، حتى ينظر بأمره.

ولما أتي به، أمر بإحضار الجلاد، وكان مجلسه مكتظّاً بأعوانه، ثم قال لحبيب: أتشهد أن محمداً رسول الله؟ قال: نعم. قال مسيلمة: أتشهد أني رسول الله؟ قال: لا، أسمع ما تقول، فامتعض الخاسر من جوابه، ثم أعاد عليه السؤال ذاته، فما وجد عند «حبيب» غير جوابه السابق، وعند ذلك أمر بتحويل جسده إلى فِرَقٍ، وعند كل مِزْقة يعيد عليه السؤال، و«حبيب» مصمم على نفس الجواب.

وحين أصبح نصف جسد «حبيب» متناثراً فوق الأرض، لم تعد روحه تطيق البقاء، فغادرت كتلة اللحم المتبقية، وصعدت إلى بارئها لتشكو ظلم هذا الحاقد اللئيم، وكان آخر ما نطق به «حبيب» قبل أن تتوقف في صدره الأنفاس: «محمدٌ رسول الله».

وأُخبرتْ أم الشهيد البطل، بما فعله الطاغية المستكبر بابنها، فقالت: لمثل هذا الموقف أعددته، وعند الله احتسبته، لقد بايع رسول الله ﷺ ليلة العقبة صغيراً، ووفى له بعهده اليوم كبيراً، ولئن أمكنني الله من «مسيلمة» لأجعلن بناته يلطمن عليه الخدود. ويوم الثأر كان في اليمامة حين خرجت «أم عمارة» مع ولدها الأكبر

«عبد الله»، واشترك «عبد الله» مع «أبي دجانة» و«ووحشي بن حرب» في قتل كذاب اليمامة الأثيم، رحم الله «حبيباً» فقد كان رسولَ صدقٍ لخاتم المرسلين.

obeikandl.com

حُذَيْفَةُ بن اليَمَان ﷺ

السائل عن الشر

صحابي، عبسي، والده «اليمان» واسمه: حُسَيْلُ بن جابر انطلق بولديه «حذيفة» و«صفوان» إلى النبي ﷺ، فأسلموا جميعاً، وأمه «الرباب بنت كعب الأشهلية».

كان «حذيفة» أحد تلاميذ رسول الله ﷺ النجباء، ومن أفذاذ صحابته الأذكياء، وصاحب سر رسول الله ﷺ في المنافقين السفهاء، وسأله رجلٌ: ما النفاق؟ فقال حذيفة: أن تتكلَّم بالإسلام ولا تعمل به. وكان ذا رأي رشيد، وفكر سديد، مما جعل «عمر بن الخطاب» ﷺ يستهدي برأيه عند اختيار الرجال. وسأله «عمر» مناشداً بعد أن علم أن النبي ﷺ أسر إليه بأسماء المنافقين: أأنا منهم؟ فقال: لا، ولا أزكي أحداً بعدك. وسأله: هل في عمالي أحد منهم؟ قال: نعم، واحد، قال: فمن هو؟ قال: لا أذكره، قال حذيفة: فعزله، كأنما دُلَّ عليه، وكان «عمر» إذا مات ميت ينظر «حذيفة» فإذا صلى عليه، صلى «عمر» عليه، وإن لم يحضر «حذيفة» الصلاة عليه لم يحضرها «عمر» وذلك لقول الله تعالى لرسوله ﷺ: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ۖ إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ فَٰسِقُونَ﴾ [التوبة: ٨٤].

ولكن من أين ألحقت باسمه كلمة (اليمان)؟ اليمان لقب لأبي حذيفة، وقيل له ذلك لأنه أصاب دماً في قومه فهرب إلى المدينة، وحالف بني عبد الأشهل من الأنصار، فسماه قومه «اليمان»؛ لأنه

حالف الأنصار، وهم من اليمن، وأقبل «حسيل» وابناه «حذيفة» و«صفوان» إلى مكة، فأسلموا جميعاً كما أسلفنا، وسأل رسول الله ﷺ «حذيفة» أن يختار بين النصرة والهجرة، فاختار النصرة، وقال: أنا أنصاري يا رسول الله وبعد هجرة رسول الله ﷺ إلى المدينة، أراد «حسيل» وابناه «حذيفة» و«صفوان» العودة إلى المدينة، فاعترضتهم قريش، وأخذت عليهم العهد ألَّا يقاتلوها، فعاهدوها على ذلك، ولما جاؤوا المدينة أخبروا رسول الله ﷺ بما عاهدوا عليه قريشاً وسألوه رأيه حين أراد الخروج إلى بدر، قال: **(بل نفي لهم، ونستعين بالله عليهم)**[1]، وفي هذا الرد الكافي على تساؤل من سأل عن سبب تخلف «حذيفة» وأهله عن شهود بدر.

وكان «حذيفة» و«صفوان» حريصين على حضور «أحد» فانطلقا مع النبي ﷺ، أما أبوهما «حسيل» فكان له شأن آخر، فلننظر ما قاله ابن الأثير[2] بهذا الصدد، [أخبرنا عبيد الله بن أحمد بن السمين بإسناده إلى يونس بن بكير، عن محمد بن إسحاق، عن عاصم بن عمر بن قتادة، عن محمود بن لبيد، قال: لما خرج رسول الله ﷺ إلى أُحُد، رُفِعَ «حسيل بن جابر» وهو اليمان، أبو «حذيفة بن اليمان» و«ثابت بن وقش بن زعوراء» في الآطام مع النساء والصبيان، وهما شيخان كبيران، فقال أحدهما لصاحبه: لا أبا لِك! ما تنتظر؟ فوالله، ما بقي لواحد منا من عمره إلا مثل ظِمْء حمار[3]، إنما نحن هامة اليوم أو غداً، أفلا نأخذ أسيافنا، ثم نلحق برسول الله ﷺ، لعل الله أن يرزقنا الشهادة مع رسول الله ﷺ؟

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٣/ ٣٠٠١).
(٢) أسد الغابة (٢/ ١٩).
(٣) ظِمْءُ حمار: شيءٌ يسير؛ لأن الحمار أقل الدواب صبراً على الماء.

فأخذا أسيافهما، ولحقا برسول الله ﷺ، ودخلا في المسلمين، ولا يعلم بهما، فأما «ثابت بن وقش» فقتله المشركون، وأما «حسيل بن جابر» فاختلفت عليه أسياف المسلمين، وهم لا يعرفونه، فقتلوه، فقال «حذيفة»: أبي أبي، فقالوا: والله، ما عرفناه، وصدقوا، فقال «حذيفة»: يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين، فأراد رسول الله ﷺ أن يديه، فتصدق «حذيفة» بديته على المسلمين، فزاده ذلك عند رسول الله ﷺ خيراً][1].

كانت الصِّلةُ بين الرسول ﷺ وبين «حذيفة بن اليمان» جِدُّ حميمة، فقد انتسب هذا التلميذ اللبيب إلى مدرسة «محمد» ﷺ الذي أدَّبه ربه فأحسن تأديبه، وبعثه متمماً لمكارم الأخلاق، فأي خير سيجني، وأي علم سيحصل في أفنيتها الرحبة، وتحت ظلالها الوارفة؟ هناك الكثير الكثير، مما يعز حصره، ويتعذّر إحصاؤه، والصدق أول المكارم بعد الإيمان، فليس المؤمن بالكذاب ولا المخادع، فهو الهادي إلى الجنة، وخلافه الكذب وهو المبلِّغ إلى النار، ثم الحياء، فالحياء من الإيمان، ومن فقده خرج من زمرة المؤمنين، والأمانة، فالخائن ليس له مقعد مع الأمناء والمتعففين، والشجاعة والقوة، فالمؤمن القوي خير من المؤمن الضعيف، والجود بالمال، فإن كان بالنفس فتلك أقصى غاية الجود، والتواضع وخفض الجناح للمؤمنين لقوله ﷺ: **(ألا أخبركم بأهل النار؟ كل عُتُلٍّ جَوَّاظٍ متكبر)**[2]، وحب المؤمنين وعدم غشهم والامتناع عن حسدهم وبغضهم والحقد عليهم، والبعد عن حمل الغِلِّ لهم وغيبتهم، والمشي بالنميمة بينهم، والانتصار لهم، وشد أزرهم، ونَبْذِ النفاق،

(١) الإصابة (١/ ٣٩٨).
(٢) الاستيعاب (١/ ٣٠٨).

وكل ذلك يتلخَّص في حب الخير وجلبه لهم، وبغض الشر ودفعه عنهم ما وُجِدَ إلى ذلك سبيلٌ، فأعظم بها من مدرسة! وأكرم بمديرها ذي الخلق العظيم!

كان أصحاب رسول الله ﷺ كلهم خيار، وكانوا يسألونه عن أشياء وأشياء تحفظ عليهم دينهم، وترسخ الإيمان في نفوسهم، وتنفعهم في دنياهم، وتزودهم لآخرتهم بخير زاد، ألا هو التقوى، ولكن خالفهم «حذيفة» في أمر واحد، ذلك الأمر أنهم كانوا يسألون رسول الله ﷺ عن الخير، وأما «حذيفة» فكان يسأله عن الشر، فقد كان الشر هاجسه وشاغله ومحلَّ اهتمامه، وذلك لأنَّ عقله الواعي، وفكره النابه، بَيَّنَا له وهدياه إلى أن الخير جَلِيٌّ واضح ظاهر للعيان، ومَنْ يلتمسه، فما أسهل الوصول إليه! بيد أن الشَّرَّ له طرق وعرة، ومسالك ملتوية قد تفضي بسالكها إلى التهلكة ما لم يكن له عقل كبير، وعلم غزير يحذرانه من المزالق، ويحولان بينه وبين السقوط والضياع.

لقد أكب على البحث عن الشر وأهله، والتعرف إلى أسبابه ودواعيه، والدوافع التي تدفع إليه، ونظر في أمر النفاق والمتخلِّقين به، كل ذلك، ليكون منهم على حذر ولكي لا ينزلق فيما انزلقوا إليه، وأحسبه قد ألَمَّ بقول الشاعر:

قَدِّرْ لرجلك قبلَ الخَطْوِ موضعَها ... فمن علا زلَقاً عن غِرَّةٍ زَلَجَا

نعم، لقد كان «حذيفة» يقظاً حذراً، نافذ البصر والبصيرة، شديد النباهة، وفوق ذلك كله كانت حكمة الفيلسوف، ﴿وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [البقرة: ٢٩٦].

لقد علم «حذيفة» أن الشرور منافذ للفتن، وفي الفتن يختلط الحابل بالنابل، ويطيح الطالح بالصالح إلا من اتقى منها، وكان على

حذر شديد، وقد أخرج الإمام مسلم في صحيحه[١]: [أن أبا إدريس الخَوْلاني كان يقول: قال حذيفة بن اليمان: والله، إني لأعلم الناس بكل فتنة هي كائنة، فيما بيني وبين الساعة، وما بي إلا أن يكون رسول الله ﷺ قد أَسَرَّ إليَّ في ذلك شيئاً، لم يُحَدِّثْه غيري، ولكن رسول الله ﷺ قال، وَهو يحدث مجلساً أنا فيه عن الفتن، فقال رسول الله ﷺ، وهوَ يعدُّ الفتن: (**منهن ثلاثٌ لا يَكَدْن يَذْرن شيئاً، ومنهن فتنٌ كرياح الصيف منها صغار، ومنها كبار**)، قال حذيفة: فذهب أولئك الرهط كلهم غيري].

وأخرج مسلم أيضاً:[٢] [عن الأعمش، عن شقيق، عن حذيفة، قال: قام فينا رسول الله ﷺ مقاماً، ما ترك شيئاً يكون في مقامه ذلك إلى قيام الساعة، إلَّا حَدَّث به، حفظه من حفظه، ونسيه من نسيه، قد علمه أصحابي هؤلاء، وإنه ليكون منه الشيء قد نسيته فأراه فأذكره كما يذكر الرجلُ وَجْه الرجلِ إذا غاب عنه، ثم إذا رآه عرفه].

وأخرج مسلم أيضاً[٣]: [عن شعبة، عن عدي بن ثابت، عن عبد الله بن زيد، عن حذيفة، أنه قال: أخبرني رسول الله ﷺ بما هو كائن إلى أن تقوم الساعة، فما منه شيءٌ إلَّا قد سألته، إلَّا أني لم أسأله ما يُخْرِجُ أهل المدينة من المدينة].

ولنستمع إلى ما دار بين رسول الله ﷺ وبين «حذيفة»، قال حذيفة: كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير، وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني قلت: يا رسول الله، إنا كنا في جاهلية

(١) صحيح مسلم برقم (٢٢/ ٢٨٩١).
(٢) صحيح مسلم برقم (٢٣/ ٢٨٩١).
(٣) صحيح مسلم برقم (٢٤/ ٢٨٩١).

وشر، فجاءنا الله بهذا الخير، فهل بعد هذا الخير من شر؟ قال: (نعم)، قلت: فهل بعد هذا الشر من خير؟ قال: (نعم، وفيه دَخَنٌ)، قلت: وما دخنُه؟ قال: (قوم يستنُّون بغير سنتي، ويهتدون بغير هديي، تعرف منهم وتنكر)، قلت: وهل بعد ذلك الخير من شر؟ قال: (نعم، دعاة على أبواب جهنم، من أجابهم إليها قذفوه فيها) قلت: يا رسول الله، فما تأمرني إن أدركني ذلك؟ قال: (تلزم جماعة المسلمين وإمامهم؟) قلت: فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام؟ قال: تعتزل تلك الفِرَق كلها، ولو أن تَعَضَّ على أصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك). وسأل رجلٌ «حذيفة» ﷺ: أي الفتن أشد؟ قال: (أن يعرض عليك الخير والشر، لا تدري أيهما تركب، حكمة بالغة، لها معنى عميق، لا يصدر مثلها إلا عن خبيرٍ مُجرِّبٍ حَلَبَ الدَّهْرَ أَشْطُرَهُ، كمثل «حذيفة بن اليمان).

إن هذا الصحابي الجليل كان ما يَفْتَأُ يستزيد من نبع المصطفى ﷺ وينهل من معينه الدافق، دون أن يشعر بالشبع والارتواء، فهو يصلي معه، ويجالسه ثم يماشيه، ثم يبدو له أن يتبعه وهم ميمم شطر البيت، وهل يفعل ذلك إلا محب أسره هوى محبوبه، واسْتَرَقَّ منه الفؤاد؟.

يقول «حذيفة» ﷺ: [سألتني أمي: منذ متى عهدك بالنبي ﷺ؟ فقلت: منذ كذا وكذا، فنالت مني وسَبَّتني، فقلت لها: دعيني فإني آتي النبي ﷺ فأصلي معه المغرب، ولا أدعه حتى يستغفر لي ولك، فصليت معه المغرب، فصلى إلى العشاء، ثم انْفَتَل، وتبعته، فعرض له عارض، وأخذه وذهب، فاتبعته، فسمع صوتي، فقال: (من هذا؟)، فقلت: حذيفة، فقال: (ما لك؟) فحدثته بالأمر، فقال: (غفر الله لك ولأمك، أما رأيت العارض الذي عرض لي قبلُ؟)

قلت: بلى، قال: **(هو ملك من الملائكة لم يهبط إلى الأرض قط قبل هذه الليلة، استأذن ربه أن يسلِّم عليَّ، وبَشَّرني أن الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة، وأن فاطمة سيدة نساء أهل الجنة]**[١].

وكان «حذيفة» يمتلك شجاعة فائقة، تمكنه من الاعتراف بذنب قارفه، أو خطإٍ وقع فيه، فقد أخرج الإمام أحمد، عن حذيفة أنه قال: (كنتُ ذَرِبَ[٢] اللسان على أهلي، فقلت: يا رسول الله، قد خشيتُ أن يدخلني لساني النار، قال: **(أين أنت من الاستغفار؟ إني لأستغفر الله في اليوم مائة مرة)**[٣]. وإذا كان رسول الله ﷺ الذي غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، يستغفر الله في اليوم مائة مرة، فكم من المئين علينا نحن أن نستغفر الله في اليوم، وقد غرقنا في آثامنا إلى ما بلغ آذاننا أو يزيد؟ ولكن لا تقنطوا أيها المؤمنون، ولا تيأسوا أيها المسلمون، فإن عفو الله ليس له حدود، إذا جئناه تائبين، وعلى ما اجترحنا نادمين، وكنا من المستغفرين، وهو أرحم الراحمين.

ويوم الخندق فاز «حذيفة» فوزاً عظيماً، حين خصه رسول الله ﷺ، بمكرمة عظيمة لم يخص بها سواه، فما تلك المكرمة يا تُرَى؟ ليتنا نصغي إلى أبي جعفر الطبري[٤] ليحدثنا عنها، قال: [حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، قال: حدثني محمد بن إسحاق، قال: حدثنا يزيد بن زياد، عن محمد بن كعب القرظي:

---

(١) انظر سنن النسائي الكبرى (٥/ ٨٠ ـ ٨١).
(٢) ذَرِبَ اللسان: حادُّ اللسان.
(٣) مسند الإمام أحمد رقم (٢٢٢٨٢).
(٤) تاريخ الطبري (٢/ ٥٧٩).

قال: قال فتى من أهل الكوفة لحذيفة بن اليمان: يا أبا عبد الله، رأيتم رسول الله ﷺ وصحبتموه؟ قال: نعم يا بن أخي، قال: فكيف كنتم تصنعون؟ قال: والله، لقد كنا نجهَد، فقال الفتى: والله! لو أدركناه ما تركناه يمشي على الأرض، ولحملناه على أعناقنا، فقال حذيفة: يا بن أخي، والله! لقد رأيتُنا مع رسول الله ﷺ بالخندق، وصلى هَوِيّاً[1] من الليل، ثم التفت إلينا، فقال: (**مَنْ رجلٌ يقوم فينظر لنا ما فعل القوم، ثم يرجع**)، ـ يشرط له رسول الله ﷺ أنه يرجع ـ (**أدخله الله الجنة؟**) فما قام رجلٌ، ثم صلى رسول الله ﷺ هَوِيّاً من الليل، ثم التفت إلينا فقال مثله، فما قام منا رجلٌ، ثم صلى رسول الله ﷺ هَوِيّاً من الليل، ثم التفت إلينا، فقال: (**من رجلٌ يقوم فينظر لنا ما فعل القوم، ثم يرجع**) يشرط له رسول الله ﷺ الرجعة ـ (**أسأل الله أن يكون رفيقي في الجنة؟**) فما قام رجلٌ من القوم من شدة الخوف، وشدة الجوع، وشدة البرد. فلما لم يقم أحدٌ، دعاني رسول الله ﷺ فلم يكن لي بد من القيام حين دعاني، فقال: (**يا حذيفة! اذهب فادخل في القوم، فانظر ماذا يفعلون، ولا تُحْدِثَنَّ شيئاً حتى تأتينا**). قال: فذهبتُ فدخلتُ في القوم، والريح وجنود الله تفعل بهم ما تفعل، لا تُقِرُّ لهم قدراً ولا ناراً ولا بناءً، فقام «أبو سفيان بن حرب» فقال: يا معشر قريش! لينظر امرؤٌ جليسَه، قال: فأخذت بيد الرجل الذي كان إلى جنبي، فقلت: من أنت؟ قال: أنا فلان بن فلان، ثم قال «أبو سفيان»: يا معشر قريش، إنكم والله، ما أصبحتم بدار مُقام، لقد هلك الكُراع والخُف، وأخلفتنا بنو قريظة وبلغنا عنهم الذي نكره، ولقينا من هذه الريح ما ترون، والله! ما تطمئن لنا قِدْرٌ، ولا تقوم لنا نار، ولا يستمسك لنا بناء، فارتَحِلُوا

---

(١) هَوِيّاً: ساعة.

فإني مرتحلٌ. ثم قام إلى جمله، وهو معقول، فجلس عليه، ثم ضربه به فوثب به على ثلاث، فما أطلق عقاله إلا وهو قائم، ولولا عهد رسول الله ﷺ إليَّ ألَّا أُحْدِثَ شيئاً حتى آتيَهُ، ثم شئت لقتلته بسهم.

قال حذيفة: فرجعت إلى رسول الله ﷺ، وهو قائم يصلي في مِرْطٍ لبعض نسائه مُرحَّل، فلما رآني أدخلني بين رجليه، وطرح عليَّ طرف المِرْط، ثم ركع وسجد، فأذلقته، فلما سَلَّم أخبرته الخبر، وسمعت غطفان بما فعلت قريش، فانشمروا راجعين إلى بلادهم].

وكان لحذيفة رأي في تقسيم القلوب إلى أربعة أنواع:

- قلب أغلف، فذلك قلب الكافر.
- وقلب مصفَّح، فذلك قلب المنافق.
- وقلب أجرد، فيه سراجٌ يزهر، فذلك قلب المؤمن.

وقلب فيه نفاق وإيمان، فمثل الإيمان كمثل شجرة يُمِدُّها ماءٌ طيبٌ، ومثل النفاق كمثل القُرْحَةِ يُمِدُّها قيحٌ، ودمٌ، فأيُّهما غَلَبَ غَلَبَ.

ومن أقوال «حذيفة» أيضاً: إن الله بعث «محمداً» ﷺ، فدعا الناس من الضلالة إلى الهدى، ومن الكفر إلى الإيمان، فاستجاب له من استجاب، فَحَيي بالحق من كان مَيِّتاً، ومات بالباطل من كان حيّاً.

ثم ذهبت النبوة، وجاءت الخلافة على منهاجها، ثم يكون ملكاً عضوضاً[1]، فمن الناس: منْ ينكر بقلبه، ويده، ولسانه، أولئك استجابوا للحق، ومنهم: مَنْ ينكر بقلبه ولسانه، كافّاً يده، فهذا ترك

(١) عَضُوضٌ: فيه ظلم وجَوْر.

شعبة من الحق، ومنهم: مَنْ ينكر بقلبه، كافّاً يده ولسانه، فهذا ترك شعبتين من الحق، ومنهم: مَنْ لا ينكر بقلبه، ولا بيده، ولا بلسانه، فذلك مَيِّتُ الأحياء!. وذكر ابن الأثير في أسد الغابة[١]: [أخبرنا أبو جعفر عبيد الله بن أحمد بن علي وغيره، قالوا بإسنادهم إلى أبي عيسى الترمذي: أخبرنا هَنَّاد، أخبرنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن زيد بن وهب، عن حذيفة، قال: حدثنا رسول الله ﷺ حديثين، قد رأيت أحدهما وأنا أنتظر الآخر، حدثنا أن الأمانة نزلت في جَذْرِ[٢] قلوب الرجال، ثم نزل القرآن، فعلموا من القرآن، وعلموا من السنة، ثم حدثنا عن رفع الأمانة، فقال: **(ينام الرجل النومة، فتقبض الأمانة من قلبه، فيظل أثرها مثل الوكْت[٣]، ثم ينام نومة، فتقبض الأمانة فيظل أثرها مثل أثر المَجْل[٤] كجمر دحرجته على رجلك فنفِطتْ[٥]، فتراه مُنْتَبِراً[٦]، وليس فيه شيءٌ)**، ثم أخذ حصاة فدحرجها على رجله، قال: **(فيصبح الناس فيتبايعون لا يكاد أحد يؤدي الأمانة حتى يقال: إن في بني فلان رجلاً أميناً، وحتى يقال للرجل: ما أجلده! وأظرفه، وأعقله، وما في قلبه مثقال حبة من خَرْدَلٍ من إيمان)**.

قال: ولقد أتى عليَّ زمان ما أبالي أيكم بايعت، لئن كان مسلماً لَيُرَدَّنَّهُ عليَّ دينه، ولئن كان يهودياً أو نصرانياً لَيَرُدَّنَّهُ عليَّ ساعيه، وأما اليوم فما كنت لأبايع إلَّا فلاناً وفلاناً][٧].

---

(١) أسد الغابة (١/ ٤٤٣).
(٢) الجَذْر: الأصل.
(٣) الوَكْتُ: الأثر اليسير في الشيء.
(٤) المَجْل: البثرة تظهر في الكف من العمل.
(٥) نفطت: تقرحت.
(٦) منتبراً: مرتفعاً.
(٧) رواه الترمذي.

وشهد «حذيفة» مع «النعمان بن مُقرِّن» معركة نهاوند، ولما قتل الأمير «النعمان» شهيداً، أخذ الراية «حذيفة» وفتح همدان، والري، والدينور، كما فتح الجزيرة، ونزل «نصيبين»، وتزوج فيها.

وكان «حذيفة» شديد التواضع، وحين ولاه «عمر بن الخطاب» ﷺ على المدائن خرج أهلها لاستقباله إذ سمعوا بمقدمه، فما راعهم - وهم يتوقعون موكباً فخماً - إلَّا رجل مشرق الوجه، يركب على حمار بالي الإكاف[1]، يُمْسِكُ زمامه بيد، وفي يده الأخرى رغيف عليه قليل من الملح يلتهمه، وتملكتهم الدهشة، وأخذهم العجب كل مأخذ، وما كان لهم أن يتوقعوا من «عمر» أن يرسل إليهم والياً من غير هذا الطراز؛ لأن «عمر» لا يهمه إلا الجوهر، وأما المظهر فما له عنده أي اعتبار. ولما توسط مستقبليه قال لهم: إياكم ومواقف الفتن، قالوا: وما مواقف الفتن؟ يا أبا عبد الله، قال: (**أبواب الأمراء، يدخل أحدكم على الأمير أو الوالي، فيصدقه بالكذب، ويمتدحه بما ليس فيه**). إنها لبداية موفَّقة للوالي الجديد، وقد وعى قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ فالتزم بمبدأ الاعتدال بنفسه أولاً، ثم طبقه على الرعية من غير إفراط ولا تفريط، ولما حضرته الوفاة أمر بأن يكفن بلفافتين بيضاوين من غير قميص، ثم قال: هذه آخر ساعة من الدنيا، اللهم! إنك تعلم أني أحبك، فبارك لي في لقائك، ثم جاد بنفسه، وذلك بعد مصرع «عثمان» بأربعين ليلة، سنة ست وثلاثين، رحمه الله تعالى.

---

(١) الإكاف: البرذعة.

حسان بن ثابت الأنصاري رضي الله عنه

الشاعر المؤيد بروح القدس

صحابي، أنصاري، خزرجي، أبوه «ثابت بن المنذر بن حرام» وأمه «الفُرَيعَةُ بنت خالد»، له عدد من الكنى، منها: أبو الوليد، وأبو عبد الرحمٰن، وقيل: أبو حسام لمناضلته عن النبي ﷺ، وخوضه في أعراض المشركين، وابنه «عبد الرحمٰن» أمه «سيرين» قد أهداها رسول الله ﷺ لحسان، وكانت هي وأختها «مارية القبطية» قد أهداهما «المقوقس» عظيم القبط إلى رسول الله ﷺ مع هدايا أخَرَ. و«حسان» أحد شعراء رسول الله ﷺ الأنصار الثلاثة، والآخران هما: «كعب بن مالك» و«عبد الله بن رواحة».

وكان رسول الله ﷺ يقول عن شعرهم في مهاجاة المشركين: **(لَهَذا أشدُّ عليهم من وقع النبل)**. وقد أخرج الإمام مسلم في صحيحه بعض الأحاديث التي تبين تأييد «حسان» بجبريل عليه السلام في تصديه ومهاجاته لشعراء المشركين الذين هاجاهم؛ لأنهم كانوا يهاجون رسول الله ﷺ، كما ذكر ابن الأثير[1]، وهم: [«أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب» و«عبد الله بن الزبعري» و«عمرو بن العاص» و«ضرار بن الخطاب»]. وقد أسلم هؤلاء جميعاً.

ـ عن أبي هريرة[2]؛ أن عمر مَرَّ بحسَّان وهو ينشد الشعراء في

---

(١) أسد الغابة (٢/ ٧).

(٢) صحيح مسلم رقم (١٥١/ ٢٤٨٥).

المسجد، فلحظ إليه، فقال: قد كنت أُنشِد، وفيه من هو خير منك، ثم التفت إلى أبي هريرة، فقال: أنشُدُك الله، أسمعت رسول الله ﷺ يقول: (**أجب عني، اللَّهم، أيِّده بروح القدس**)؟ قال: اللَّهم، نعم.

ـ وعن شعبة[١]، عن عدي (وهو ابن ثابت) قال: سمعتُ البراء بن عازب قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول لحسان بن ثابت: (**اهجهم، أو هاجهم وجبريل معك**). وجاء في ترجمة ابن الأثير لحسان بن ثابت[٢]: يقال له: شاعر رسول الله ﷺ، ووصفت عائشة رسول الله ﷺ فقالت: كان والله كما قال فيه حسان:

متى يَبْدُ في الداجي البهيم جبينه ... يَلُحْ مثل مصباح الدجى المتوقِّدِ

فمن كان أو من ذا يكون كأحمدٍ ... نظامٌ لحقٍّ أو نكالٌ لِمُلْحِدِ

وكان رسول الله ﷺ ينصبُ له منبراً في المسجد، يقوم عليه قائماً، يفاخر عن رسول الله ﷺ، ورسول الله ﷺ يقول: (**إن الله يؤيد حسان بروح القدس، ما نافح عن رسول الله ﷺ**).

وروى مسلم في صحيحه[٣] عن أبي سلمة بن عبد الرحمٰن، عن عائشة؛ أن رسول الله ﷺ قال: (**اهجوا قريشاً، فإنه أشد عليها من رشق النبل**) فأرسل إلى «ابن رواحة» فقال: (**اهجهم**) فهجاهم فلم يُرْضِ، فأرسل إلى «كعب بن مالك»، ثم أرسل إلى «حسان بن ثابت»، فلما دخل عليه، قال حسان: قد آن لكم أن ترسلوا إلى هذا الأسد الضارب بذنبه، ثم أدلع[٤] لسانه فجعل يحركه، فقال: والذي

(١) صحيح مسلم رقم (٢٤٨٦/١٥٣).
(٢) أسد الغابة (١/ ٧).
(٣) صحيح مسلم رقم (٢٤٩٠/١٥٧).
(٤) أَدْلَعَ: أخرج.

بعثك بالحق، لأفرينَّهم بلساني فريَ الأديم[١]، فقال رسول الله ﷺ: **(لا تعجل، فإن أبا بكر أعلم قريش بأنسابها، وإن لي فيهم نسباً، حتى يلخِّصَ لك نسبي)** فأتاه حسان، ثم رجع فقال: يا رسول الله، قد لَخَّصَ لي نسبك، والذي بعثك بالحق، لأَسُلَّنَّكَ منهم كما تُسَلُّ الشعرة من العجين.

قالت عائشة: فسمعتُ رسول الله ﷺ يقول لحسان: **(إن روح القدس لا يزال يؤيدك، ما نافحت عن الله ورسوله)**.

وقالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **(هجاهم حسان فشفى واشتفى)** قال حسان:

هجوتَ محمداً فأجبتُ عنه ... وعند الله في ذاك الجزاءُ
هجوتَ محمداً برّاً تقيّاً ... رسولَ الله شيمته الوفاءُ
فإن أبي ووالدَهُ وعرضي ... لعرضي محمد منكم وِقَاءُ
ثَكِلتُ بُنَيَّتي إن لم تروها ... تثير النقع من كَنَفَيْ كَدَاءِ[٢]
يبارين الأعنة مُصْعِداتٍ ... على أكتافها الأسل الظماءُ
تظل جيادُنا متمطِّراتٍ ... تُلَطِّمهن بالخُمُر النساءُ
فإن أعرضتمُ عنا اعتمرنا ... وكان الفتح وانكشف الغطاءُ
وإلا فاصبروا للضراب يوم ... يعز الله فيه من يشاءُ
وقال الله قد أرسلتُ عبداً ... يقول الحق ليس به خفاءُ

(١) أي: لأمزقنَّ أعراضهم تمزيق الجلد.
(٢) كنفي كداءِ: جانبي كداء، وفي البيت إقواء، وفي بعض النسخ: غايتها كَدَاءُ، فيرتفع الإقواء.

وقال الله قد يسرتُ جنداً هُمُ الأنصارُ عُرْضَتُها[١] اللقاءُ
لنا في كل يومٍ من مَعَدٍّ سِبابٌ أو قتال أو هجاءُ
فمن يهجو رسولَ الله منكم ويمدحه وينصره سواءُ
وجبريلٌ رسولُ الله فينا وروح القدس ليس له كِفاءُ[٢]]

وذكر ابن الأثير: [وقال قائل لعليّ بن أبي طالب رضي الله عنه اهجُ القوم الذين يهجوننا، فقال: إنْ أذن رسول الله ﷺ فعلت، فقال رسول الله ﷺ: **(إن علياً ليس عنده ما يراد من ذلك)** ثم قال: **(ما يمنع القوم الذين نصروا رسول الله ﷺ بأسيافهم أن ينصروه بألسنتهم؟)**، فقال حسان: أنا لها، وأخذ بطرف لسانه وقال: والله، ما يسرني به مقْوَلٌ بين بُصْرى وصنعاء، قال رسول الله ﷺ: **(كيف تهجوهم وأنا منهم؟ وكيف تهجو أبا سفيان وهو ابن عمي؟)** فقال: يا رسول الله، لأَسُلَّنَّك منهم كما تُسَلُّ الشعرة من العجين، فقال: **(ائت أبا بكر فإنه أعلم بأنساب القوم منك)**، فكان يمضي إلى «أبي بكر» رضي الله عنه ليقفه على أنسابهم، فكان يقول له: كُفَّ عن فلانة وفلانة، واذكر فلانة وفلانة، فجعل يهجوهم، فلما سمعت قريش شعر حسان قالوا: هذا شعر ما غاب عنه ابن أبي قحافة.

ولما بلغ أبا سفيان بن الحارث قولُ حسان فيه:

وإن سنامَ المجد من آل هاشم بنو بنت مخزوم ووالدك العبدُ
ومن ولدت أبناءُ زهرة منهمُ كرام ولم يقرب عجائزك المجدُ
ولست كعباسٍ ولا كابن أمه ولكن لئيم لا يقام له زَنْدُ
وإن امرءاً كان سُمَيَّةُ أَمَّه وسمراء مغموز إذا بلغ الجَهْدُ

(١) عُرْضَتُها: مقصودها ومطلوبها.
(٢) كِفَاءُ: مثيل.

قال أبو سفيان: هذا شعر لم يغب عنه ابن أبي قحافة.

وقال ابن الأثير[١]: [وقال ابن سيرين: انتدب لهجو رسول الله ﷺ من المشركين من ذكرنا وغيرهم، فانتدب لهجو المشركين ثلاثة من الأنصار: حسان، وكعب بن مالك، وعبد الله بن رواحة، فكان حسان وكعب يعارضانهم، مثل قولهم في الوقائع والأيام والمآثر، ويذكرون مثالبهم، وكان «عبد الله بن رواحة» يعيرهم بالكفر وبعبادة ما لا يسمع، ولا ينفع، فكان قوله أهون القول عليهم، وكان قول «حسان» و«كعب» أشد القول عليهم، فلما أسلموا وَفقهوا كان قول «عبد الله» أشد القول عليهم.

ونهى «عمر بن الخطاب» رضي الله عنه عن إنشاد شيء من مناقضة الأنصار ومشركي قريش، وقال: في ذلك شتم الحي والميت، وتجديد الضغائن، وقد هدم الله أمر الجاهلية بما جاء من الإسلام.

وقال ابن دريد، عن أبي حاتم، عن أبي عبيدة، قال: فَضَل «حسان» الشعراء بثلاث: كان شاعر الأنصار في الجاهلية، وشاعر النبي ﷺ في النبوة، وشاعر اليمن كلها في الإسلام[٢].

وقال أبو عبيدة: أجمعت العرب على أن أشعر أهل المدر أهل يثرب، ثم عبد القيس، ثم ثقيف، وعلى أن أشعر أهل المدر حسان.

وقال الأصمعي: الشعر نكد يقوى في السر ويسهل، فإذا دخل في الخير يضعف؛ لأن هذا حسان كان من فحول الشعراء في الجاهلية، فلما جاء الإسلام سقط شعره. وقيل لحسان: لاَنَ شعرُك وهرم يا أبا الحسام، فقال للسائل: يابن أخي، إن الإسلام يحجُزُ

(١) أسد الغابة (١/ ٨).
(٢) الإصابة (٢/ ٦٣)، الاستيعاب (١/ ٣٤٥).

عن الكذب، يعني: أن الإجادة في الشعر هو الإفراط في الذي يقوله، وهو كذب يمنع الإسلام منه، فلا يجيء الشعر جيداً.

وتابع ابن الأثير القول: أخبرنا أبو الفضل المنصور بن أبي الحسن بن أبي عبد الله الطبري، الفقيه الشافعي بإسناده إلى أحمد بن علي بن المثنى، قال: حدثنا حَوْثَرةُ، أخبرنا حماد بن سلمة، عن هشام، عن أبيه، أن رسول الله ﷺ جَلَدَ الذين قالوا لعائشة ما قالوا ثمانين ثمانين: حسان بن ثابت، ومِسْطَح بن أُثاثة، وحمنة بنت جحش، وكان «حسان ممن خاض في الإفك، فجلد فيه في قول بعضهم، وأنكر قوم ذلك، وقالوا: إن عائشة كانت في الطواف، ومعها «أم حكيم بنت خالد بن العاص» و«أم حكيم بنت عبد الله بن أبي ربيعة»، فذكرتا «حسان بن ثابت» وسَبَّتاه، فقالت عائشة: إني لأرجو أن يدخله الله الجنة بذَبِّه عن النبي ﷺ بلسانه، أليس القائل:

فـإنَّ أبـي ووالـدَه وعـرضـي لـعـرض مـحـمـدٍ مـنـكـم وِقَـاءُ[1]

وبرأته من أن يكون افترى عليها، فقالتا: ألم يقل فيك؟ فقالت: لم يقل شيئاً، ولكنه الذي يقول:

حَـصَـانٌ رزانٌ مـا تُـزَنُّ بـريـبـةٍ وتصبح غَرْثَى من لحوم الغوافلِ

فإن قيل ما قد قيل عني قُلتُه فلا رَفَعَتْ سوطي إليَّ أناملي

وقد أخرج الإمام مسلم في صحيحه[2]: حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة وأبو كريب، قالا: حدثنا أبو أسامة عن هشام، عن أبيه، أن حسان بن ثابت كان محمد كَثَّرَ على عائشة، فسَبَبْتُه، فقالت: يا

(١) البيت في الديوان، وفي الاستيعاب (١/ ٣٤٧).
(٢) صحيح مسلم رقم (١٥٤/ ٢٤٨٧).

ابن أختي، دعه، فإنه كان يُنافِحُ[١] عن رسول الله ﷺ. وأخرج مسلم أيضاً[٢] (عن أبي الضحى، عن مسروق، قال: دخلت على عائشة، وعندها حسان بن ثابت ينشدها شعراً، يُشَبِّبُ بأبيات له، فقال:

حَصَانٌ رَزَانٌ ما تُزَنُّ بريبةٍ وتصبح غَرْثَى من لحوم الغوافلِ

فقالت له عائشة: لكنك لست كذلك. قال مسروق فقلت لها: لم تأذنين له يدخل عليك؟ وقد قال الله: ﴿وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النور: ١١].

فقالت: فأيُّ عذاب أشد من العمى؟ إن كان ينافح، أو يهاجي عن رسول الله ﷺ. وذكر ابن الأثير في موسوعته[٣] [وكان حسان من أجبن الناس، حتى أن النبي ﷺ جعله مع النساء في الآطام[٤] يوم الخندق: أخبرنا عبيد الله بن أحمد بن علي البغدادي، بإسناده إلى يونس بن بكير، عن ابن إسحاق، قال: حدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير، عن أبيه، قال:

كانت صفية بنت عبد المطلب في فارع، حصن «حسان بن ثابت» قالت: وكان «حسان بن ثابت» معنا فيه، مع النساء والصبيان، حيث خندق النبي ﷺ قالت صفية: فمرَّ بنا رجل من يهود، فجعل يطيف بالحصن، قالت له صفية: إن هذا اليهودي يطيف بالحصن كما ترى، ولا آمنه أن يدل على عورتنا مَنْ وراءنا من يهود، وقد شُغِلَ عنا رسول الله ﷺ وأصحابه، فأنزل إليه، فاقتله، قال: يغفر الله لك يا بنت عبد المطلب، لقد عرفت ما أنا بصاحب هذا، قالت صفية:

---

(١) ينافح: يدافع.
(٢) صحيح مسلم رقم (٢٤٨٨/١٥٥).
(٣) أسد الغابة (١/ ٩).
(٤) الآطام: الحصون.

فلما قال ذلك، أخذت عموداً، ونزلت من الحصن إليه، فضربته بالعمود حتى قتلته، ثم رجعت إلى الحصن، فقلت: يا حسان، انزل فاسلبه، فقال: ما لي بسلبه حاجة يا بنت عبد المطلب، ولم يشهد مع النبي ﷺ شيئاً من مشاهده لجبنه، ووهب له النبي ﷺ جاريته «سيرين» أخت «مارية» فأولدها «عبد الرحمٰن بن حسان» فهو و«إبراهيم» ابن رسول الله ﷺ ابنا خالة].

وقد جاء في الحاشية رقم (٢) من الجزء (٣/ ٢٥٢) من سيرة ابن هشام ما يلي: [قال السهيلي: ومجمل هذا الحديث عند الناس على أن «حسان» كان جباناً شديد الجبن، وقد رفع هذا بعض العلماء وأنكره، وذلك أنه حديث منقطع الإسناد، وقال: لو صح هذا لَهُجِيَ به «حسان» فإنه كان يهاجي الشعراء كضرار وابن الزبعرى وغيرهما، وكانوا يناقضونه ويردون عليه، فما عَيَّره أحد منهم بجبن، ولا وسمه به، فدلَّ هذا على ضعف حديث ابن إسحاق، وإن صَحَّ فلعلَّ «حسان» أن يكون معتلًّا في ذلك اليوم بعلّةٍ منعته من شهود القتال، وهذا أولى ما تأول عليه، ومِمَّنْ أنكر أن يكون هذا صحيحاً «أبو عمر» رحمه الله في كتاب الدرر له].

وعقَّب على هذا الحديث أبو ذر أيضاً بما لا يخرج عما ذكره السهيلي.

وقال الزرقاني بعدما ساق رأي «أبي عمر» في الدرر، واستبعاده هذا على حسان: «وإنما كان أولى؛ لأن ابن إسحاق لم ينفرد به؛ بل جاء بسند متصل حَسَنٍ كما علم، فاعتضد حديثه، وقد قال ابن السراج: سكوت الشعراء عن تعييره بذلك من أعلام النبوة؛ لأنه شاعره ﷺ».

وذكر «عبد الرحمٰن» البرقوقي في شرحه لديوان «حسان بن

ثابت» عند حديثه عن نشأته وحياته: [فقد شاهد كثيراً من حروب الأوس والخزرج في الجاهلية، ثم شاهد المشاهد كلها في الإسلام ـ وهذا مخالف لما ذكره ابن الأثير في الصفحة السابقة ـ ومع ذلك كله لم يخترط سيفاً، وما شاك سلاحاً، وإنما سيفه الصمصامة الذكر لسانه، ومِذْوَدَاه قلبه وبيانه، هذا هو كل ما يملك حسان]. ومع كل ما قيل فيه، دفاعاً عنه، ونيلاً منه، فإني أقول: كفاه فضلاً أنه كان شاعر رسول الله ﷺ، والمنافح عنه وعن الإسلام، ضد أعداء الله ورسوله ﷺ والمدين، وكفى به أن يكون مؤيَّداً بروح القدس جبريل الأمين، ومَرْضيّاً عنه من خاتم المرسلين!

وقال أبو عمر بن عبد البر[١]، وابن الأثير[٢]: وتوفي «حسان» قبل الأربعين في خلافة «علي» رضي الله عنه وقيل: بل مات سنة خمسين، وقيل: سنة أربع وخمسين وهو ابن مائة وعشرين سنة. لم يختلفوا في عمره، وأنه عاش ستين سنة في الجاهلية وستين سنة في الإسلام، وكذلك عاش أبوه «ثابت» وجده «المنذر» وأبو جده «حَرام» عاش كل واحد منهم مائة وعشرين سنة، ولا يعرف في العرب أربعة تناسلوا عن صلب واحد، وعاش كل منهم مائة وعشرين سنة غيرهم.

قال سعيد بن عبد الرحمٰن: ذكر عند أبي، عبد الرحمٰن، عمر أبيه وأجداده، فاستلقى على فراشه وضحك، فمات وهو ابن ثمان وأربعين سنة. رحم الله تعالى شاعر رسول الله ﷺ حسان، وأسكنه فسيح الجنان.

---

(١) الاستيعاب (١/ ١٠).
(٢) أسد الغابة (١/ ١٠).

الحسن والحسين رضي الله عنهما

سيدا شباب أهل الجنة

صحابيان، هاشميان، سبطا رسول الله ﷺ، وريحانتاه من الدنيا، وسيدا شباب أهل الجنة، أبوهما فارس الهيجاء «عليّ بن أبي طالب» رضي الله عنه وأمهما «فاطمة الزهراء» رضي الله عنها سيدة نساء العالمين، وجدهما المصطفى ﷺ أشرف المرسلين.

وروى سماك بن حرب، عن قابوس بن المخارق، قال: قالت أم الفضل: يا رسول الله، رأيت كأن عضواً من أعضائك في بيتي، قال: (**خيراً رأيت. تلد فاطمة غلاماً فترضعيه بلبن قُثَم**)، فولدتَ الحسن، فأرضعتُه بلبن قثم)[1]:

وقال «عليّ بن أبي طالب» رضي الله عنه: لما ولد «الحسن» جاء رسول الله ﷺ فقال: (**أروني ابني ما سميتموه؟**) قلت: سميته «حرباً». قال: (**بل هو حَسَنٌ**)، فلما ولد «الحسين» سميناه «حرباً» فجاء النبي ﷺ، فقال: (**أروني ابني، ما سميتموه؟**) قلت: سميته «حرباً» قال: (**بل هو حسين**)، فلما ولد الثالث؛ جاء النبي ﷺ فقال: (**أروني ابني، ما سميتموه؟**) قلت: سميته «حرباً» قال: (**بل هو مُحْسنٌ**)، ثم قال: (**سميتهم بأسماء ولد «هارون»، شبَّر، وشبَّير، ومُشَبِّر**)[2].

---

(١) أبو داود رقم (٣٧٥)، وابن ماجه رقم (٥٢٢).

(٢) مسند الإمام أحمد (١/ ٩٨، ١١٨).

وذكر ابن الأثير[١] عن أبي أحمد العسكري: [سماه النبي ﷺ «الحسن»، وكناه: أبا محمد، ولم يكن يُعرف هذا الاسم في الجاهلية، وروي عن ابن الأعرابي، عن المفضل، قال: إن الله حجب اسم الحسن والحسين حتي سمى بهما النبي ﷺ ابنيه الحسن والحسين، قال: فقلت له: فاللذين باليمن؟ قال: ذاك «حَسْن» ساكن السين، و«حَسِين» بفتح الحاء وكسر السين].

وكان النبي ﷺ يحب «الحسن» و«الحسين» أعمق الحب، فقد روى الحسن بن أسامة بن زيد قال: أخبرني ابن أسامة بن زيد، قال: طرقت النبي ﷺ ذات ليلة في بعض الحاجة، فخرج إليَّ وهو مشتمل على شيء لا أدري ما هو، فلما فرغت من حاجتي، قلت: ما هذا الذي أنت مشتمل عليه؟ فكشفه فإذا هو «حسن» و«حسين» على وركيه، فقال: **(هذان ابناي وابنا ابنتي، اللَّهم، إني أحبهما، فأحبهما، وأحب من يحبهما)**[٢]. وروى عكرمة عن ابن عباس قال: كان رسول الله ﷺ حامل الحسن على عاتقه، فقال رجل: نعم المركب ركبت يا غلام، فقال النبي ﷺ: **(ونعم الراكب هو)**[٣]. وروى عدي بن ثابت عن البراء، قال: رأيت رسول الله ﷺ واضعاً «الحسن بن علي» على عاتقه، وهو يقول: **(اللَّهم، إني أحبُّه فأحبَّه)**[٤].

وأخرج الإمام مسلم في صحيحه[٥] ـ باب فضائل أهل بيت

(١) أسد الغابة (٢/ ١٣).
(٢) رواه الترمذي (٣٧٦٩).
(٣) الترمذي (٣٧٨٤).
(٤) صحيح مسلم برقم (٥٩/ ٢٤٢٢).
(٥) صحيح مسلم برقم (٦١/ ٢٤٢٤).

النبي ﷺ، عن أبي بكر بن أبي شيبة، ومحمد بن عبد الله بن نمير، (واللفظ لأبي بكر)، قالا: حدثنا محمد بن بشر عن زكرياء، عن مصعب بن شيبة، عن صفية بنت شيبة، قالت: قالت عائشة: خرج النبي ﷺ غداة وعليه مرط مرحَّل، من شعر أسود، فجاء «الحسن بن علي» فأدخله، ثم جاء «الحسين» فدخل معه، ثم جاءت «فاطمة» فأدخلها ثم جاء «عليٌّ» فأدخله، ثم قال: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٣].

وجاء رجل من أهل العراق إلى عبد الله بن عمر رضي الله عنهما يسأله عن دم البعوض يصيب الثوب، فقال ابن عمر: انظروا إلى هذا يسأل عن دم البعوض وقد قتلوا ابن رسول الله ﷺ، وسمعت رسول الله ﷺ يقول: **(الحسن والحسين ريحانتاي من الدنيا)**[(١)].

واصطرع «الحسن» و«الحسين» مرة أمام النبي ﷺ، وها هو ذا أبو هريرة يحدثنا عما جرى يومئذٍ، عن محمد بن زياد، عن أبي هريرة، عن رسول الله ﷺ قال: كان «الحسن» و«الحسين» يصطرعان بين يدي النبي ﷺ، ورسول الله ﷺ يقول: **(هَيَّ حسن)** قالت فاطمة رضي الله عنها: لم تقول هيَّ حسن؟ قال: **(إن جبريل يقول: هَيَّ حسين)**[(٢)].

وأخرج الإمام مسلم في صحيحه عن نافع بن جبير بن مطعم، عن أبي هريرة، قال: خرجت مع رسول الله ﷺ في طائفة من النهار، لا يكلمني ولا أكلمه، حتى جاء سوق بني قينقاع، ثم انصرف، حتى أتى خباء «فاطمة» فقال: **(أَثَمَّ لُكَعُ؟ أَثَمَّ لُكَعُ؟)** يعني: حسناً، فظننا أنه إنما تحبسه أمه؛ لأن تغسِّله وتُلْبِسه سِخَاباً[(٣)]. فلم

---

(١) الترمذي (٣٧٧٠).

(٢) الإصابة (٢/ ٧٧).

(٣) السِّخاب: قلادة من القرنفل والمسك والعود وأخلاط الطيب.

يلبث أن جاء يسعى حتى اعتنق كل واحد منهما صاحبه، فقال رسول الله ﷺ: **(اللَّهم؛ إني أحبُّه، فأحبَّه وأحبب من يحبُّه)**[١].

وروى الإمام الترمذي عن الحسن بن عرفة، أخبرنا إسماعيل بن عياش، عن عبد الله بن عثمان بن خُثَيْم، عن سعيد بن راشد، عن يعلى بن مرة، قال: قال رسول الله ﷺ، **(حسين مني، وأنا من حسين، أحبَّ الله من أحبَّ حسيناً، حسين سبط من الأسباط)**[٢]، وأخرج الإمام الترمذي: أخبرنا عبد الله بن عبد الرحمٰن، أخبرنا عبيد الله بن موسى، عن إسرائيل، عن ابن إسحاق، عن هانىء بن هانىء، عن علي، قال: «الحسن أشبه برسول الله ﷺ ما بين الصدر إلى الرأس، والحسين أشبه برسول الله ﷺ ما كان أسفل من ذلك»[٣].

قال ابن عباس: قال رسول الله ﷺ: **(أحِبُّوا الله لما يغدوكم من نعمه، وأحبوني بحب الله، وأحبوا أهل بيتي بحبي)**[٤].

وعن زيد بن أرقم، قال: قال رسول الله ﷺ: **(إني تارك فيكم ما إنْ تمسكتم به لن تضلوا، أحدهما أعظم من الآخر: كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض وعترتي أهل بيتي، ولن يتفرّقا حتى يردا الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما)**[٥]. واخجلتاه مما خلَفُوك في أهل بيتك، يا رسول الله!

أما خَتَنُكَ «عليٌّ» زوج حبيبتك «الزهراء» فقتلوه، وأما ريحانتك

---

(١) صحيح مسلم برقم (٥٧/ ٢٤٢١).
(٢) الترمذي (٣٧٧٥).
(٣) الترمذي (٣٧٧٩).
(٤) الترمذي (٣٧٨٩).
(٥) مسند الإمام أحمد (٤/ ٣٦٦)، والطبراني في المعجم الكبير (٥٠٢٦ و٥٠٢٨).

«الحسن» فَسمُّوه، وأما الريحانة الأخرى «الحسين» الذي وضعت فاك على فيه فقد نكتوا بالعود موضع فيك بعد أن ذبحوه، فبئس ما خَلَفُوك فيه، وإنا لله وإنا إليه راجعون، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

قال ابن الأثير[١]: [إن الحسن بن علي حج عدة حجات ماشياً وكان يقول: إني لأستحيي من ربي أن ألقاه ولم أمش إلى بيته، وقاسم الله تعالى ماله ثلاث مرات، فكان يترك نعلاً ويأخذ نعلاً، وخرج من ماله كله مرتين].

وكان «الحسن» ورعاً، حليماً، كريماً، فترك الدنيا لأهلها، وقد روى أبو بكرة، قال: صعد النبي ﷺ المنبر، فقال: (**إن ابني هذا سيد يصلح الله به بين فئتين عظيمتين**)، وصدق رسول الله ﷺ، فبعد مصرع «علي» رضي الله عنه، تنازل «الحسن» لمعاوية وكان «الحسن» لذلك كارهاً، وقال الزبير بن بكار، عن مصعب: حج الحسين خمساً وعشرين حجة ماشياً، وقيل: إن جعدة بنت الأشعث امرأة الحسن هي التي سمَّته[٢].

ولما حضرت «الحسن» الوفاة، وثقل، قال لأخيه «الحسين»: يا أخي، سقيت السم ثلاث مرات، قال: من سقاك؟ قال: وما سؤالك عن ذلك؟ أتريد أن تقاتلهم؟ أكِلُهُم إلى الله ﷻ، ثم فاضت روحه، ودفنه «الحسين» في البقيع رحمه الله تعالى.

وحين أبى «الحسين» مبايعة (يزيد بن معاوية) وكان عامله على الكوفة «عبيد الله بن زياد» وكان أهل الكوفة قد كتبوا للحسين

(١) أسد الغابة (٢/١٦).
(٢) أسد الغابة (٢/١٨).

ليأتيهم، فلما أتاهم وجد «عمر بن سعد» على رأس جيوش جهزت لقتاله، فعرضوا عليه أن ينزل على حكم (ابن زياد) فأبى، فذبحوه مع تسعة عشر من أهل بيته واثنين وخمسين من أصحابه وحملت رؤوسهم إلى (ابن زياد)، فهلا جهز نفسه ليوم المعاد! والذي قتل «الحسين» على الصحيح «سنان بن أنس النخعي» كما ذكر ابن الأثير في أسد الغابة[1] رحمه الله تعالى.

(١) أسد الغابة (٢/ ٢٤).

obeikandl.com

حَكِيمُ بن حِزَام بن خُوَيْلِدٍ رضي الله عنه

المولود داخل الكعبة

صحابي، قرشي، أسدي، تزوج «حزام بن خويلد» من «صفية» أو «فاختة بنت زهير بن الحارث» فولدت له «حكيماً» و«خالداً» و«هشاماً». و«حكيم» ابن عم «الزبير بن العوام»، وعمة «حكيم» أم المؤمنين السيدة «خديجة بنت خويلد» رضي الله عنها.

وكانت «أم حكيم» قد دخلت الكعبة مع بعض صويحباتها من نساء قريش، وهي حامل به، فأجاءها المخاض، ولم تتمكن من الخروج من الكعبة، حتى وضعت ولدها «حكيماً» وهي في مكانها.

وكان «حكيم» من المُعَمَّرِين، كما كان من المخضرمين، فقد تعدى المائة بعشرين سنة، أفنى شطرها في الجاهلية، وشطرها الآخر في الإسلام. وتَرَبَّى في أسرة مترفة مُنَعَّمة، وكان من أشراف قريش، ووجوهها في الجاهلية والإسلام. وتحمَّل أعباء الرفادة[1]. وحين عاد من الشام بتجارة له، كان معه بعض العبيد من الغلمان، ولما جاءت عمته، السيدة خديجة رضي الله عنها لزيارته، عرض عليها أولئك الغلمان لتختار منهم من تشاء، فوقع اختيارها على «زيد بن حارثة» وصحبته إلى منزلها، وأعجب به رسول الله ﷺ حين رآه، فاستوهبها إياه، فوهبته له، فأعتقه وتبنَّاه، ولما نزل تحريم التبني خرج «زيد» إلى الناس وقال: أنا «زيد بن حارثة»، وكان قبلئذٍ يدعى «زيد بن

---

(١) الرفادة: إعانة الحجاج المنقطعين.

محمد»، ووَثَّقت القرابة بين «حكيم» وعمته، صلته برسول الله ﷺ، وكان كل منها يُكِنُّ لصاحبه أعمق مشاعر الود والإخاء.

ولما دعت السماء «محمداً» ﷺ لحمل أمانتها، وأداء رسالتها، لم يُحْسِنْ «حكيم» الاختيار، وآثر جانب قريش، ضارباً بالقرابة والصداقة عُرْضَ الحائط، حتى خرج إلى بدر كافراً، يريد قتال المسلمين.

ولما تهيأ الناس للقتال، أقبل نفر من قريش، حتى وردوا حوض رسول الله ﷺ، وفيهم «حكيم بن حزام» على فرس له، فقال رسول الله ﷺ: (دعوهم). فما شرب منهم رجل إلا قُتِلَ يومئذٍ، إلا ما كان من «حكيم بن حزام» فإنه لم يقتل، نجا على فرس له يقال له: «الوجيه» وأسلم بعد ذلك، وحسن إسلامه، فكان إذا اجتهد في يمينه، قال: لا والذي نجاني يوم بدر.

ما أعجب أمر هؤلاء المشركين! وما أغرب ما يصنعون! لقد كان فيهم رجال، ترجح عقولهم لو وزنت راسيات الجبال، وهذه مجالسهم ونواديهم التي كانوا يصرِّفون فيها شؤون حياتهم، وأمور تجارتهم تشهد، وعندهم من الحكماء من تُشَدُّ إليه الرحال، وتُوجَّه إليه المطايا، التماساً لحل معضلة، أو فَضِّ خصومة، حتى ليخرج الطرفان راضيَيْن بما حكم به الحكم، واثقَيْن بسداد رأيه، وصواب فكره. وكان فحول شعرائهم يتبارون، ويتفاخرون، كل يريد أن يبين فضل قبيلته وعلو شرفها، ورفعة منزلتها، بأفصح القول وأبلغ البيان، وبما يكاد ينعدم نظيره لدى الخصوم، وإذا ذكر الله وحده اشمأزَّت نفوس هؤلاء العقلاء، ونفرت قلوبهم، وأصبحت عَمِيَةً عن الحق أبصارهم وبصائرهم، وظهر في آذانهم الوقر، ذلك لأن الله جلَّت قدرته، ومضت في الخلق مشيئته، صرف قلوبهم وعقولهم ولم يأذن

لنور الإيمان أن يخترقها، وينير طريقها، فكانوا عن هديه معرضين، ولمن والاه معادين، وحَقَّت عليهم كلمة العذاب المهين.

ولقد كان «حكيم» في قومه، سديد الفكر، راجح العقل، ولولا ذلك ما حكَّموه في أمورهم، ولا سوَّدوه عليهم، ولا كان صاحب الأمر المطاع، وجاء يوم الفتح، فتح مكة العظيم، ولم يقتصر الفتح على أبواب مكة والمسالك المؤدية إليها أمام زحف جند الحق وأنصار الإيمان؛ بل شمل القلوب المغلقة، والعقول المؤصدة، ورفع الغشاوة عن العيون، والوقر من الآذان، وحمل إلى الأنوف التي أزكمها الشرك عبير الهداية وعَرْف الرشاد.

ووجد «حكيم» نفسه بعد ضياع نَيَّف على عشرين عاماً، وانهمرت الدموع من عينيه بغزارة بعد أن رأت كتائب الحق، تدحض شراذم الباطل إلى الأبد، وأحسَّ بفداحة ما خسر، ويدهش ابنه حين يرى دموع أبيه الذي لَمْ تَلِنْ له قناة أمام الخطوب والشدائد، ولم تَهِنْ له غريمة في أحلك الأوقات، ويسأل: ما يبكيك يا أبي؟ وتختلط كلمات «حكيم» بعبراته، ويقول: وما يمنعني من البكاء؟ يا بني! وقد وقف إخوان لي مواقف لو كان لي ملء الأرض ذهباً لم أجد إلى بعضها سبيلاً! وما يمنعني من البكاء؟ وقد اقتديت بالآباء والأجداد في معتقدات ثبت أنهم كانوا منها في غرور، وهل أهلك الناس إلَّا التأسِّي الأعمى، وإلَّا هذا الاقتداء البليد، الذي جعل كبار الرجال والزعماء يأتون إلى حجر نحتوه، وخشبة نجروها بأيديهم ليعبدوها من دون فاطر السمٰوات والأرض، وخالق كل شيء؟ أليس في هذا ما يدعوني إلى البكاء؟

وفيما كان «حكيم» يتأهب للذهاب إلى رسول الله ﷺ لإعلان إسلامه بين يديه، كان رسول الله ﷺ يقول لأصحابه: (**إن بمكة**

لأربعة نَفر أرباً[١] **بهم عن الشرك، وأرغب لهم في الإسلام)**، قيل: ومن هم؟ يا رسول الله، قال: **(عتابُ بن أُسَيْد»، و«جبير بن مطعم»، و«حكيم بن حِزام»، و«سهيل بن عمرو)**، وقد أسلم هؤلاء جميعاً، ورأى «حكيم» أن من تمام الإيمان مناجزة أعداء الله والجهاد من أجل إعلاء كلمة الله، لذلك حرص بعد إسلامه على حضور المشاهد التي شهدها رسول الله ﷺ. وكان من المؤلفة قلوبهم، وقد أعطاه رسول الله ﷺ يوم «حنين» مائة بعير، ولم يصنع شيئاً من المعروف في الجاهلية إلا وضع في الإسلام مثله، وقد بلغ في الكرم حداً قَصَّر عنه كثير من الكرماء، فقد باع «دار الندوة» من «معاوية بن أبي سفيان» بمائة ألف درهم، فقال له: «ابن الزبير»؛ بعت مكرمة قريش، فقال حكيم: ذهبت المكارم إلا التقوى، وتصدق بثمنها وأتى النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله، أرأيت أشياء كنت أفعلها في الجاهلية، كنت أتحنَّث[٢] بها، ألي فيها أجر؟ فقال رسول الله ﷺ: **(أسلمتَ على ما سلف لك من خير)**. وحَجَّ في الإسلام، ومعه مائة بدنة قد جلَّلها بالحبَرَة أهداها، ووقف بمائة وَصِيف بعرفة في أعناقهم أطواق الفضة منقوش فيها: عتقاء الله عن «حكيم بن حزام»، وأهدى ألف شاة، وكان جواداً[٣].

وروى الزهري، عن ابن المسيَّب وعروة، عن حكيم بن حزام، قال: سألت النبي ﷺ فأعطاني، ثم سألته فأعطاني، فقال: **(يا حكيم! إن هذا المال خضرة حلوة، من أخذه بسخاوة نفس بورك له فيه، ومن أخذه بإشراف نفس لم يبارك له فيه، وكان كالذي يأكل**

(١) أرباً: لا أرضاه لهم.
(٢) أتحنث: أتعبد.
(٣) أسد الغابة (٢/ ٤٤).

ولا يشبع، واليد العليا خير من اليد السفلى).

قال حكيم: يا رسول الله! والذي بعثك بالحق! لا أرزؤك، ولا أحداً بعدك شيئاً، فإن «أبا بكر» ﷺ يدعوه إلى عطائه فيأبى أن يأخذه، ودعاه «عمر» ﷺ فأبى، فقال «عمر»: يا معشر المسلمين، أشهدكم أني أدعو حكيماً إلى عطائه فيأبى أن يأخذه، فما سأل أحداً شيئاً إلى أن فارق الدنيا. وعمي قبل موته، روى عنه ابنه حزام، وابن المسيَّب، وعروة، وابن سيرين، وموسى بن طلحة، وعراك بن مالك، وسواهم، وكانت وفاته سنة أربع وخمسين أيام «معاوية»رحمه الله تعالى.

obeikandl.com

حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه

أسد الله وأسد رسوله ﷺ

صحابي، قرشي، أبوه «عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي» وأمه «هالة بنتُ وُهَيْب» وشقيقته «صفية بنت عبد المطلب» والدة «الزبير بن العوام»، ورسول الله ﷺ عمه وأخوه من الرضاعة، فقد أرضعتهما «ثويبة» مولاة أبي لهب، و«حمزة» أسن من الرسول ﷺ بسنتين. وأعلن إسلامه في السنة الثانية للمبعث، وكان سبب إسلامه: أن أشقى قريش «أبو جهل بن هشام» لقي النبي ﷺ في الطريق فآذاه وشتمه، ونال منه، وبينما «حمزة» عائد من قنصه، اعترضته أمةٌ لعبد الله بن جُدعان، وأخبرته بما صنع الخبيث بابن أخيه دون أن يرد عليه شيئاً، فانطلق «حمزة» مُغْضَباً، وجاء إلى مجلس بني مخزوم حيث يجلس «أبو جهل» ثم رفع قوسه وأهوى بها على جبينه فشجه شجة منكرة، وصرخ في وجهه وقال: أتشتمه وأنا على دينه، أقول ما يقول؟ فرُدَّها عليَّ إن استطعت. وكانت كلمات «حمزة» قد أذهلت بني مخزوم ورجال قريش أكثر من شجة زعيمهم، ولما حاولوا الانتصار لأبي جهل، منعهم أبو جهل، وقال لهم: دعوا أبا عُمارة، فإني قد سببت ابن أخيه سباً قبيحاً.

ومضى «حمزة» إلى بيته، وأخذ يفكر في تلك الجمرات التي قذفها في وجه أبي جهل، وصَكَّ بها أسماع المحيطين به، وأبت أجفانه أن تستسلم للرقاد حتى إذا انبلج الصباح، سار إلى رسول الله ﷺ، ومر بالكعبة المشرفة، وراح يتضرع إلى الله أن يشرح

صدره للحق، واستجاب الله دعاءه، ثم أعلن إسلامه أمام ابن أخيه، ودعا له رسول الله ﷺ أن يثبته الله بقوله الثابت، ويغرس في فؤاده نور اليقين. وبعد أن أسلم أسد الله أنشد:

حَمِدت الله حين هدى فؤادي ... إلى الإسلام والدين الحنيف
لدين جاء من ربٍّ عزيزٍ ... خبير بالعباد به لطيفِ
إذا تُليت رسائله علينا ... تحدَّر دمع ذي اللب الحصيفِ
رسائل جاء أحمد مِنْ هداها ... بآياتٍ مبينةِ الحروفِ

وكانت لحمزة كنيتان: أبو يعلى وأبو عمارة ـ وزوجته «سلمى بنت عميس» أخت «أسماء بنت عميس» وقد هاجر «حمزة» إلى المدينة، وشهد مع رسول الله ﷺ بدراً، فَقَتَل «شيبة بن ربيعة» مبارزة، وقَتَلَ «طعيمة بن عدي» واشترك مع ابن أخيه «علي» في قتل «عتبة بن ربيعة» الذي أثبته «عبيدة بن الحارث» فأسرعا إليه، وذفَّفا عليه[1]، وانتهت بدر بأروع انتصار لدين الله الحنيف.

قال أبو الحسن المدائني: أول لواء عقده رسول الله لحمزة بن عبد المطلب في سرية بعثها إلى سيف البحر، وقال ابن إسحاق وخالفه: أول لواء كان لعبيدة بن الحارث. وذكر أنه قاتل يوم بدر بسيفين بين يدي رسول الله ﷺ، وكان يُعْلَم في الحرب بريشة نعامة، وقال بعض الأسرى الكفار: مَنِ الرجل المُعْلَمُ بريشة نعامة؟ قالوا: «حمزة» رضي الله عنه قال: ذلك فعل بنا الأفاعيل، وامتنع رسول الله ﷺ بعمه، ولم يعودوا ينالون منه ما كانوا ينالون قبل إسلام «حمزة».

وجاء يوم «أحد» الذي أرادته قريش يوم ثأر وانتقام لقتلاها في

(١) ذَفَّفَ: أجهز.

بدر، وكانت كفة المسلمين هي الراجحة في بدء القتال. لكن الحال انقلب وتحول النصر إلى هزيمة نكراء بعد أن خالف رماة المسلمين أوامر نبيهم بعدم إخلاء مواقعهم التي أمرهم أن يرابطوا فيها، فكانت الهزيمة جزاء وفاقاً لعصيانهم، واتخذ الله من المسلمين شهداء، كان من أبرزهم «أبو عُمَارة» وذكر أنه قتل واحداً وثلاثين من المشركين قبل أن تخترق جسده حربة «وحشي بن حرب»[١]، وبادرت «هند بنت عتبة» وصويحباتها من نساء المشركين إلى التمثيل في الشهداء، فبقرت بطن «حمزة» وأخرجت كبده، وقضمت منها مضغة، ولاكتها فلم تُسِغْها فلفظتها، يقولُ أبو هريرة: وقف رسول الله ﷺ على «حمزة»، وقد مُثّل به، فلم ير منظراً كان أوجع لقلبه منه، فقال: **(رحمك الله، أيْ عم! فلقد كنت وصولاً للرحم، فَعُولاً للخيرات)**[٢].

وروى جابر، قال: لما رأى رسول الله ﷺ «حمزة» قتيلاً بكى، فلما رأى ما مُثِّلَ به شهق، وقال: **(لولا أن تَجِدَ صفية لتركته حتى يحشر من بطون الطير والسباع)**[٣].

وروى محمد بن عقيل، عن جابر قال: «لما سمع النبي ﷺ ما فعل بحمزة شهق، فلما رأى ما فعل به صعق).

وقال ابن إسحاق[٤]: [وأقبلتْ ـ فيما بلغني ـ صفية بنت عبد المطلب ـ لتنظر إلى «حمزة» ـ وكان أخاها لأبيها وأمها ـ فقال

---

(١) انظر أسد الغابة (٢/ ٥١).
(٢) انظر الإصابة (٢/ ١٢٢).
(٣) انظر سنن البيهقي الكبرى (٤/ ١٠) وسنن أبي داود (الحديث: ٣١٣٦) والمستدرك (١/ ٣٦٥)، والترمذي (١٠١٦).
(٤) تاريخ الطبري (٢/ ٥٢٩).

رسول الله ﷺ لابنها «الزبير بن العوام»: **(القها فارجعها، لا ترى ما بأخيها)** فلقيها «الزبير» فقال لها: يا أُمَّهْ، إن رسول الله ﷺ يأمرك أن ترجعي، فقالت: ولِمَ؟ وقد بلغني أنه مُثِّلَ بأخي، وذلك في الله قليل، فما أرضانا بما كان من ذلك! لأحتسبَنَّ ولأصبرَنَّ، إن شاء الله. فلما جاء «الزبير» رسول الله ﷺ فأخبره بذلك، قال: **(خَلِّ سبيلها)**، فأتته، فنظرت إليه، وصَلَّت عليه، واسترجعت، واستغفرت له، ثم أمر رسول الله ﷺ، فدُفِنَ]. ودفن معه في نفس القبر «عبد الله بن جحش» وهو ابن أخته «أميمة بنت عبد المطلب».

وقال ابن جرير الطبري في تاريخه[١]: [ومَرَّ رسول الله ﷺ بدار من دور الأنصار من بني عبد الأشهل وظَفَر، فسمع البكاء والنوائح على قتلاهم فذرفت عينا رسول الله ﷺ، فبكى، ثم قال: **(لكن حمزة لا بواكي له)**.

فلما رجع «سعد بن معاذ» و«أسيد بن حضير» إلى دار بني عبد الأشهل أمر نساءهم أن يَتَحزَّمن، ثم يذهبن، فيبكين على عم رسول الله ﷺ.

وذكر ابن الأثير[٢]: [عن أنس بن مالك، قال: كان النبي ﷺ إذا كبَّر على جنازة كبَّر عليها أربعاً، وأنه كبر على «حمزة» سبعين تكْبيرة، وقال أبو أحمد العسكري: وكان «حمزة» أول شهيد صلى عليه رسول الله ﷺ. رحم الله «أبا عمارة» سيد الشهداء، وأثابه بما هو أهله.

---

(١) تاريخ الطبري (٢/ ٥٣٢).
(٢) أسد الغابة (٢/ ٥٣).

حنظلة بن أبي عامر الراهب ﷺ

غِسِّيل الملائكة

صحابي، أنصاري، أوسي، آمن «حنظلة» برسول الله ﷺ وكان له من المصدقين، وأصَرَّ أبوه (أبو عامر الراهب) على شركه فكان من الغاوين، وكان الإبن جديراً بدار الأبرار، والأب خليقاً بدار الفجار، واختلف المثوى والمصير، فريق في الجنة وفريق في السعير.

وبعد أن حَطَّ رسول الله ﷺ رحاله في المدينة، لقيه (أبو عامر الراهب) ـ وفي اسمه الحقيقي خلاف ـ فقال له: ما هذا الذي جئت به يا محمد؟ فقال رسول الله ﷺ: **(جئت بالحنيفية دين إبراهيم)** قال: أنا عليها، فقال له رسول الله ﷺ: **(إنك لست عليها)** قال أبو عامر: أدخلت في الحنيفية ما ليس منها، فقال رسول الله ﷺ: **(ما فعلتُ، ولكن جئتُ بها بيضاء نقية)**، فقال الخبيث: أمات الله الكاذب منا طريداً غريباً وحيداً، فقال له رسول الله ﷺ: **(آمين)**، فقال أبو عامر ـ وقد دُحِضَت حجته، وأُسْقِط في يده ـ : لا أجد قوماً يقاتلونك إلا قاتلتك معهم. وقبل أن يفترقا سماه رسول الله ﷺ بـ (الفاسق) فيا له من لقب يخزيه إلى يوم الدين! وصار الناس يدعونه (أبا عامر الفاسق).

وراح هذا الفاسق يتردد على «أبي جهل» كثيراً، وكان هذا الشقي يشحنه بالعداوة والبغضاء لرسول الله ﷺ، وينفث فيه سموم الحقد، ويزود بأخبث الأفكار التي يمليها عليه فكره السقيم، حتى

استقرا معاً في جهنم، وبئس المصير. وكان «حنظلة» طيباً وديعاً، شديد الحب لرسول الله ﷺ، ولم يكن يؤلمه ويعذبه إلا شيء واحد، هو موقف العداء الذي يقفه والده من رسول الله ﷺ والدين الحنيف، وكان له صديق يماثله في طيبه ووداعته، وشدة حبه لرسول الله ﷺ، إنه «عبد الله بن عبد الله بن أبي ابن سلول» رأس المنافقين، وكانت معاناة «عبد الله» من نفاق أبيه، وسوء تصرفاته مع رسول الله ﷺ وأصحابه لا تقل عن معاناة «حنظلة».

وكان الصديقان كلما ازدادا تقرباً إلى رسول الله ﷺ أمعن والداهما في البعد ولجًّا في النفار، ولم يكن بوسع «حنظلة» و«عبد الله» إلا التمسك بالصبر، حتى يفصل في الأمر مَنْ له الخلق والأمر.

وجاءت معركة بدر فأطاحت برأس كبير السفهاء، وأشقى الأشقياء (أبي جهل)، مع عدد من زعماء قريش وأكابر مجرميها كابني ربيعة «عتبة» و«شيبة» و«الوليد بن عتبة» و«عقبة بن أبي معيط» و«أمية بن خلف» وسواهم.

ثم كان يوم «أحد» فخرج «أبو عامر الفاسق» مع مشركي الأوس لنصرة قريش وحلفائها، أما (ابن أبي) فقد مشى مع رسول الله ﷺ بعض الطريق، ثم انخزل بثلاثمائة من أهل الريب والنفاق، وعادوا إلى المدينة تاركين النبي ﷺ مع سبعمائة مقاتل، مقابل ثلاثة آلاف رجل من قريش وحلفائها. وكانت ليلة «أحد» أحب الليالي على قلب «حنظلة»؛ لأنه سيُزَفُّ إلى «جميلة بنت عبد الله بن أبي ابن سلول» وأخت صديقه «عبد الله».

ولما بنى «حنظلة» بعروسه، وهما في قمة السعادة، سمع (حنظلة) الهائعة[1]، إنها الدعوة إلى الجهاد.

---

(١) الهائعة: الصيحة المفزعة.

إذاً، هناك ما هو أهم من الزواج والأهل والولد والمال، إنه الجهاد في سبيل الله ضد المشركين، أعداء الله والدين، وتسلَّل «حنظلة» من جانب عروسه، واختطف سلاحه في سرعة البرق، وانطلق يعدو ليدرك ركب المجاهدين.

ووصل الجمعان إلى أحد، وبدأت المعركة، ولاحت تباشير نصر المسلمين، وأخذت جثث قتلى المشركين تملأ الساحة، ولاذ بعضهم بالفرار مخلفين سلاحهم وأسلابهم على الأرض، وأصبح النصر من المسلمين قاب قوسين أو أدنى، وفجأة تحول النصر إلى هزيمة، واستعاد المشركون رباطة جأشهم، وصارت سيوفهم تقتل في المسلمين في كل اتجاه.

فما الذي حدث؟ ولماذا نصر المسلمين انقلب إلى هزيمة رافقتها خسائر فادحة شملت كبار الصحابة وأعز الرجال؟

الجواب بكل بساطة: إنه عصيان أوامر القائد، وأي قائد؟ إنه أعظم قادة الدنيا منذ خلقها الله وحتى يأذن بفنائها، إنه رسول الله ﷺ، قال تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠] وبالتالي من يعصِ الرسول فقد عصى الله، وإذا كان النصر من عند الله، فكيف يهبه لمن عصاه؟ لقد أمر رسول الله ﷺ رماة المسلمين بالثبات في مواقعهم على الجبل ليحموا ظهور إخوانهم، وأمرهم ألا يبرحوها تحت أي ظرف، حتى ولو سارت المعركة خلافاً لما يشتهون، ولكن الطمع بالغنائم أسال لعابهم، ودفعهم إلى أن يعصوا أوامر رسول الله ﷺ، ولم يحفلوا بتحذير أميرهم من سوء العاقبة، فتركوا مواقعهم، وتبادروا الأسلاب مخافة أن تفوتهم، فانقض عليهم «خالد بن الوليد» بفرسانه من خلفهم، وكان الإثخان في القتل حتى أبادهم، وأشيع أن رسول الله ﷺ قد قتل، وقد أدى ذلك إلى فوضى

عارمة في صفوف المسلمين، وبات المسلمون أثلاثاً: ثلث قتيل، وثلث جريح، وثلث منهزم، وكسرت رباعية رسول الله ﷺ، وشقت شفته، وَكُلِمَ في وجنتيه، وجبهته في أصول شعره، وعلاه ابن قميئة بالسيف على شقة الأيمن، وكان الذي أصابه «عتبة بن أبي وقاص» لعن الله «عتبة» و«ابن قميئة» إلى يوم الدين، بما صنعا بحبيب رب العالمين.

وكان «أبو عامر الفاسق» قد نادى على قومه الذين خرجوا مع رسول الله ﷺ، قبل بدء القتال، فقال: يا معشر الأوس، أنا أبو عامر، فردوا عليه يقولون: لا أنعم الله بك عيناً يا فاسق، فلما سمع مقالتهم، قال لحلفائه من قريش: لقد أصاب قومي بعدي شر.

ولما توقف القتال، خرج «أبو سفيان» والفاسق يتفقدان القتلى، وإذا هما يقفان على «حنظلة» وهو غارق في دمه، فقال «أبو عامر»: أتدري من هذا يا أبا سفيان؟، قال: لا، قال: إنه «حنظلة» فلذة كبدي، ثم نادى بالناس حتى لا يمثلوا به، فمثِّل بالشهداء جميعاً إلا «حنظلة».

ولما أخبر رسول الله ﷺ باستشهاده، قال: **(إن صاحبكم ـ يعني حنظلة ـ تغسله الملائكة ـ فسلوا أهله: ما شأنه؟)** فسئلت صاحبته، فقالت: خرج وهو جنب حين سمع الهائعة، فقال رسول الله ﷺ: **(لذلك غسلته الملائكة)** وكفى بهذا شرفاً ومنزلة عند الله تعالى. وكان قاتله «شدَّاد بن الأسود» المعروف بابن شَعُوب الليثي، وقال أبو سفيان:

ولو شئت نَجَّتني كُمَيْتٌ طِمِرَّةٌ[1] ولم أحمل النعماء لابن شَعُوبِ

(١) الطِّمِرَّةُ: الفرس السريعة الوثوب.

وهذا ينفي قول من قال: إن أبا سفيان هو الذي قتله بابنه «حنظلة» الذي قتل ببدر كافراً، ويوم فتح مكة هرب «أبو عامر الفاسق» إلى هرقل الروم، ومات هناك على كفره، فله جهنم، وساءت مصيراً، وأما ابنه «حنظلة» ففي الجنة مع الخالدين، بين أيدي الحور العين، ومستقر رحمة رب العالمين.

obeikandl.com